المنافقون

في

الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح

لفضيلة الشيخ الدكتور

أبي أنس محمد موسى نصر

دار الإمام أحمد

الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المنافقون

في

الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثالثة

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٧٩٩٦م

٢١ شارع مكة - تقسيم مكة - صعب صالح - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة

٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

هاتف: ٢٤١٤٢٤٨ / ٠٠٢٠٢ فاكس: ٦٣٦٥٦٣٨/ ٠٠٢٠٢ محمول: ٠١٠٦٠١٤٩٧٨/ ٠٠٢

E-Mail:Dar_Alemam_Ahmad@hotmail.Com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الْحَمد لله نَحْمَده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أنَّ لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له.

وأشهدُ أن مُحَمَّدًا عبده وسولهُ.

أمَّا بعد:

فهذا كتاب "المنافقون في الكتاب والسنة" أُقدمه بينَ يدي القارئ الكريم، وهو مع وجازته واختصاره إلاَّ أنَّه يُعطي المسلم بعض معالم النِّفَاق في القديم والحديث خصوصًا أنَّ النفاق في هذه الأيام العجاف قد ضرب أطنابه في المجتمعات، فقلما يَخلو وادٍ أو نادٍ أو مُجتمع من منافقين تظاهروا بالإسلام وتَمسحوا به وليسوا من أهله، بل هُم -والعياذُ بالله- من جند الشيطان لا من حزب الرَّحْمَن، كلامهم كثير وفعلهم قليل، يتشدقونَ ويتفيهقون، ملئت قلوبهم بالكبر، أصلحوا مظاهرهم وقلوبهم كالبيت الخرب، ذكرهم لله قليل، ولدنياهم كثير، يأخذون من دينهم لدنياهم، ينشطون أمام النّاس، ويكسلون إِذَا خَلَوا بأنفسهم.

هُمْ كالشاة العائرة لا تدري أين تتجه، ومع أي الفصيلين تكون، بل هُمْ كالحرباء المتلونّة، يَحسبون كل صيحة عليهم.

هُم العدو حقًا، يأمنهم المرء، وهم يكيدون له في الخفاء فيطعنونه طعنة نَجلاء قاتلة.

يسخرونَ من الإسلام والمسلمين، ويركبونَ كل صعب وذلول من أجل الوصول إلى غايتهم الدنيئة المحقورة، ألسنتهم عَذْبة، ومنطقهم جَميل، وقلوبهم تقطر غلاً وحقْدًا وقطرانًا أسود عَلَى أهل الإسلام والعاملين به.

حتى كاد القرآن أن يكون كله في ذم شأنهم وحالهم لكثرتهم على ظهر الأرض، وفي أجواف القبور، فلا خَلَت بقاعُ الأرض منهم، لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات، وتتعطل بهم أسباب المعايش، وتَخَطَّفهم الوحوش والسِّبَاع في الفلوات.

سمع حذيفة رضي الله عنه رجلاً يقول: «اللَّهُمَّ أهلك المنافقين.

فقال: يابن أخي، لو هَلَكَ المنافقونَ لاستوحشتُم من قلّة السَّالك».

قلوبهم عن الخيرات لاهية، وأجسادُهم إليها ساعية، والفاحشة في فجاجهم فاشية، وإذا سمعوا الحق كانت قلوبهم عن سماعه قاسية، وإذا حضروا الباطل وشَهِدوا الزُّورَ انفتحت أبصارُ قلوبهم وكانت آذانهم واعية، فهذه -والله- أماراتُ النفاق، فاحذرها أَيُّها الرَّجُل قبل أن تنزل بك القاضية[1].

وكنتُ قد نشرتُ سلسلة مقالات أسبوعية في جريدة الأَيَّام البحرينية في الصفحة الدينية منها بإشراف الأستاذ الأخ عَلي مطر أوّلاً، ثُمَّ راشد أبو أَحْمَد أخيرًا -جزاهُمَا الله خيرًا-، ثُمَّ رأيت أن أطبعها، وأن أزيد عليها أشياء متعلقة

(١) صفات المنافقين، لابن القيم -رحمه الله-.

بالبحثِ لصلتها به، فجاءت -بحمد الله- عَلَى وجازتها موفية بالمقصود -إن شاء الله-، ولا أدَّعي بلوغ الغاية، ولكنّها مشاركة وواجب رأيتُ أن أضرب فيه بسهم، عسى الله أن يجعلني من أنصار دينه الذَّابين عن شرعه.

فإنني -والْحَمْدُ لله- أعلم أنّ جهاد المنافقين وبغضهم ومحاربتهم من أعظم الطاعات والعبادات.

قَالَ تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

وعلى كُلِّ قارئ كريم وَجدَ في عَمَلي خَللاً أن يصلح الخلل بالنصح والإرشاد، لا بالتشهير والإفساد، فالدينُ النصيحة، ومن ألقى معاذيره فهو عند كرام النّاس معذور.

وحسبي أنني أردت الخير، وسعيت إليه قدر جهدي وطاقتي، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، اللَّهُمَّ جنِّبنا النِّفَاق ما ظهرَ منه وما بطن، وبغِّض إلينا أهله، ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

والْحَمْدُ لله رب العالمين.

د. أبو أنس

محمد بن موسى بن نصر

معنى النفاق

النِّفَاق: لفظ شرعي لم تعرفه العَرَب بالمعنى المخصوص به، وإن كَانَ في اللغة معروفًا ؛ لأنَّ ظاهرة النفاق تفشت بعد ظهور الإسلام قُوَّةً عظيمة تُهدد ما حولَها من كفر وشرك.

النِّفَاق في لغة العرب: يُقال: نافَقَ يُنَافق وَنِفَاقًا، وهو مَأخُوذٌ من النَّافقاء أحد جُحر اليَربوع، إذَا طُلبَ من واحد هَرَب من الآخَر وخَرَج منهُ.

وقيلَ: هوَ من النَّفق: وهوَ السِّربُ الذي يستتر فيه لسترة كفره. النهاية (٥/ ٩٨).

قلت: وَعَرَّفَهُ آخرونَ فقالوا: مأخوذٌ من النَّفق: وهو سرب في الأرض مشتق إلى موضع آخر، والنَّفقة والنَّافقاء جحرُ الضَّبِّ واليربوع، فإذا أُتِيَ من قِبَل القصعاء ضربَ النَّافقاء برأسه.

وقال ابنُ الأعرابي: يَحفر اليربوع حفرة ثُمَّ يَسُدُّ بابها بترابها، ويُسمَّى ذلك التراب: الداماء، ثُمَّ يَحفر حفرًا آخر يُقالُ له: النَّافقاء فلا ينفذها ولكنّه يَحفرها حَتَّى ترق، فإذا أخذَ عليها بقصعائه عدا إلى النافقاء فضربَها برأسه ومَرَق منها.

فالمنافق مراوغ مُحتال متقلّب متذبذب يظهر خلاف ما يُبطن والعكس، فهذا وجه الشبه بينه وبين الضَّبِّ واليربوع.

النِّفاق شرعًا: وهو أن يستر الرَّجُلُ كفرَهُ ويُظهِر إيمانه، فالمنافق يُخالف قوله فعله، وسِره علانيته، ومدخله مَخرجه، ومشهده مغيبه.

أنـواع النفـــاق

قَالَ الحافظ بن حجر:

"والنِّفَاق لغة: مُخالفة الباطن للظاهر، فإن كَانَ في اعتقاد الإيمان فهو نفاقُ الكفر، وإلاَّ فهو نفاقُ العمل يدخل فيه الفعل والتَّرْك، وتتفاوت مراتبه، وكذا قَالَ القرطبي، واستدل لنفاق العمل بقول عمر لِحذيفة: هل تعلم فِيَّ شيئًا من النفاق؟ فإنّه لم يُرد بذلك نفاق الكفر، وإنّما أرادَ نِفاقَ العمل» فتح الباري (١/ ٨٩-٩٠).

❋ النِّفَاق الأكبر من أعظم الكُفر:

من أجل ذلك تَوَعَّد الله المنافقين بالدَّرْكِ الأسفل من النار، قَالَ سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

وقد قَسَّم الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ الله- الكُفر إلى خَمس مراتب:

١- كفر تكذيب.

٢- كفر استكبار وإباء مع التصديق.

٣- كفر إعراض.

٤- كفر شك.

٥- كُفر نِفاق.

وقال شيخُ الإسلام بن تيمية: النِّفَاقُ كَالكُفْر، ولِهذا كثيرًا ما يُقال: كُفرٌ ينقل عن الملة، وكُفرٌ لا ينقل عن الملة. ونِفاقٌ أكبر، ونِفَاقٌ أصغر.

فهذه النَّبْتَةُ الخبيثة -النفاق- تنبتُ في القلب المريض إِذا وجدت أسباب

بقائها، وعيشها واستمرارها، فهي كما قَالَ ابن القيم -رَحِمَهُ الله-: "تنبتُ عَلَى ساقيتين: ساقيةُ الكذب، وساقيةُ الرياء، ومخرجهما من عينين: عينُ ضعف البصيرة، وعينُ ضعف العزيمة، فإذا تَمّت هذه الأركان الأربعة استحكم نباتُ النِّفَاق وبُنيانه".

❊ مَتَى بدأ النفاق؟

إنَّ السُّور والآيات الْمَكيَّة لم تتعرض لذكر شيء من النِّفَاق والمنافقين، وذلك أن ظاهرة النِّفَاق بدأت بعد الهجرة، وبعد قيام دولة الإسلام عَلَى وجه الخصوص، من أجل ذلك توالت الآيات والسور المدنية فضح المنافقين، وهتك أستارهم، فمكة لم تكُن دار نفاق، بل كَانَ عكس النِّفَاق، هو الَّذِي عليه من آمن وهو: إظهارُ الكفر وإخفاء الإيمان، والقلب عامر بالإيمان بسبب: إيذاء المشركين بعض الصحابة وإكراههم على الكفر.

فبدأ النفاق يَظهر بِجلاء في المدينة بعد غزوة بدر فدخل رأس المنافقين عَبْد الله ابن أُبي بن سلول وطائفة معه الإسلام "تُقيَة" متظاهرين بالإسلام مُبطنين الكفر والشرك.

وقد كَانَ عَبْد الله بن أُبي بن سلول قَد أُعِدَّ له العُدَّة ليكون سَيِّد الأوس والخَزْرَج، فنظَّموا له الخرز، وأجروا له مراسم التتويج، ولكن من سوء ما بُشِّر به: ظهور المسلمين عَلَى المشركين، فأسقطَ في يده، فكاد للإسلام وأهله في كل وادٍ ونادٍ، وانتشرَ النِّفَاقُ في الأعراب حولَ المدينة وداخلها، وتسلَّلوا إلى جسد الأمة الإسلامية يعملونَ فيه عمل الأرضة في الخشب، والنبي ﷺ يعرفهم جَميعًا بإخبار الله أو بصفاتِهم، وأماراتهم، ولكنّهُ عاملهم بِما ظهرَ من أمرهم درءًا للفتنة، ودفعًا لمفاسد عظيمة، ولَم يقتلهم لئلاّ يُقال: مُحَمَّدٌ يقتلُ

أصحابه، فتعمل هذه الأرجوفَةُ في المُجتمع الإسلامي عمل النّار في الهشيم، وائتمن حذيفة بن اليمان عَلَى أسمائهم.

❊ عصم الله المهاجرين والأنصارَ من النِّفَاق:

والمهاجرون لَم يكن أحدٌ منهم يَعرفُ النِّفَاق، لأنّهم هاجروا باختيارهم، وتركوا أرضهم رَغْبَةً لا رَهْبَةً، وطَمَعًا فيما عِنْدَ الله في الدَّار الآخرة، وحُبًّا في مُصاحبة النَّبيّ ﷺ، والجهاد مَعهُ، فأنَّى للنِّفَاق أن يتسلل إلى قلوبهم، وكذلك الأنصار جاهدوا مع رسول الله بأموالِهم وأنفسهم، وعلى رأسهم أهل بيعة العقبة الكبرى، وقد شهدوا المواقع كلها مع رسول الله، وفدوهُ بأموالِهم وأنفسهم وأبنائهم.

﴿لكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

فالمهاجرون والأنصار أهلُ إيمان وجهاد، فلهم الخيرات والفلاح في الدُّنْيَا والآخرة.

❊ ويأبى الله إلا فضحَ المنافقين:

لَقَدْ فَضَحَ اللهُ المنافقين عَلَى رءوس الأشهاد في عشرات الآيات، فسورة التوبة الفاضحة من أكثر السُّور فضحًا لَهم، بل أنزلَ الله سورة باسمهم تَحذيرًا من سبيلهم، ومتقلبهم، وفي إحدى المواقع اقتتلَ أجيرُ عُمر الجهجاه بن سعد الغفاري، وسنان بن يزيد، فقال سنان: يا للأنصار، وقال الجهجاه: يا للمهاجرين. فقال عَبْد الله بن أُبي بن سلول: قد ثاورونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيبُ قريش هذه إلا كما قَالَ القائل: سَمِّن كَلبكَ يَأْكُلكَ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذل. فسمعَ زيد بن أرقم ذلك وكان غُلامًا،

فأخبرَ النَّبيّ ﷺ وعندهُ عُمر، فقال عمر: يا رسول الله، مُر عباد بن بشر فليضرب عُنقه.

فقال رسول الله ﷺ: «**فَكيفَ إذَا تَحدَّثَ الناسُ يا عُمر أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُل أصحابه**».

فنَزلت سورة المنافقين.

❊ **الصحابة ﷺ يَخافونَ النِّفَاق عَلَى أنفسهم:**

كَانَ الصحابة ﷺ يَخافونَ عَلَى أنفسهم النِّفَاق أيما خوف، فهذا عمر ﷺ عَلَى جلالة قدره أتى إلى حُذيفة بن اليمان، فقال له: «نَشَدتك بالله، هَل سَمَّاني لك رسول الله ﷺ منهم؟

قَالَ: لا، ولا أُزكِّي بعدكَ أَحَدًا».

وَقَالَ ابنُ أبي مُلَيْكَة: "أدركتُ ثلاثين من أصحاب مُحَمَّد ﷺ كُلّهم يَخاف النِّفاق عَلَى نفسه، ما منهم من أحد يقول: إنّ إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل".

وكان من دُعاء بعض الصحابة: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من خُشوع النِّفاق.

قيل: وما خشوع النفاق؟

قَالَ: أن يُرى البدن خاشعًا، والقلبُ ليس بِخاشع».

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

صفات المنافقين في القرآن

- من صفاتهم: الإفساد في الأرض قَالَ تعالى:

﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

- ومن صفاتهم: الوسوسة وزخرفة الألفاظ:

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

- ومن صفاتهم: الْمُخادعة والمُخاتلة:

﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

- ومن صفاتهم: الاستهزاء وعدم الاستقرار عَلَى حال:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

- ومن صفاتهم: الكَسلُ، والمراءاة، والغفلة عن ذكر الله، وهذا يدل عَلَى خور العزيمة:

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

- ومن صفاتهم: عدم انتفاعهم بحواسهم:

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨].

ولا زلنا نُلقي الضوءَ عَلَى صفات المنافقين، وخصالِهم المذمومة المنكورة، كما جاءت في الكتاب والسنة تَحذيرًا للأمة منهم قديمًا وحديثًا، فقد ملئوا السَّهل والوادي، لا كثر الله منهم.

- ومن صفاتِهم: شدة تربصهم بالمؤمنين، وتآمرهم عليهم كلما لاحت لَهُمْ فرصة قَالَ تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١].

- ومن صفاتِهم: الصدود والشرود من حكم الله ورسوله، وعدم الانصياع للشرع، قَالَ تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

- ومن صفاتِهم: تسويغ أعمالهم الشَّنيعة -عندما يفتضحون- بالأيْمَان الكاذبة، فهم يسترون نواياهُم السيئة بِهذه الأيمان المغلظة الَّتِي جعلوها جُنَّة لَهُمْ، قَالَ تعالى:

﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

وقال أيضًا: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

- ومن صفاتِهم: اهتمامهم بالمظهر، وتَخريبهم الجوهَر، وشَغَفهُم بالبَهْرَج، والزُّخرف، فهم يُحسنون الكلام، ولا يُحسنونَ العمَل، قد استسمنوا عَلَى وَرَم يَحسبهم الظَّمآنُ ماءً وما هُم إلا سراب بقيعة، بل حالهم كحال الجذر الَّذِي جَفَّ في الأرض، فلا يُنتفع به بِحال، فاجتثَّ وأُسند إلى جدار في طي الإهمال والنسيان، قَالَ تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

- ومن صفاتِهم الذميمة: فرحهم لمصائب المؤمنين، وحزنهم لكل خير يصيبونه، قَالَ تعالى:

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠].

- ومن صفاتِهم: سعيهم في رضا النَّاس ولو بسخط الله، قَالَ تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

- ومن صفاتِهم: غمزهم ولَمزهم المؤمنين، وسخريتهم بهم، قَالَ تعالى:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

- ومن صفاتِهم المرذولة: تثبيط المؤمنين عن القتال، وبثّ الفِتَن بينهم، والسَّعي بالفساد في الأرض من أجل ذلك كره الله انبعاثهُم، وكَتَبَ عليهم القعود مع النِّسْوَان والغلمان، قَالَ تعالى:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٦-٤٧].

- ومن صفاتِهم -قاتلهم الله-: إيثار العاجلة عَلَى الآجلة، والفانية عَلَى الباقية، والعَرَض الزائل عَلَى النَّعيم الدائم، فهم يُسارعونَ للغنائم إِذَا قُسمت ؛ ليصيبوا منها مع أَنَّهم يَتَخلَّفون عن جهاد أعداء الله، قَالَ تعالى:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢].

❊ مواقف مُخزية في سجل المنافقين:

تثبيط المنافقين المؤمنين عن الجهاد بتخلفهم عنهم.

ومنها: تَخلف عَبْد الله بن أُبي زعيم المنافقين وذلك عندما رَجَعَ مع من معه من المنافقين، ولَم يَخرج مع النَّبِيّ ﷺ لِملاقاة المشركين في أُحُد، ومثل ذلك فعل في غزوة تبوك، وذلك أن رسول الله ﷺ عَسْكَرَ عَلَى ثَنِيَّة الوداع، وعسكر عَبْد الله بن أُبَي عَلَى جدة أسفل من ثنية الوداع، ولَم يكن بأقل العسكرين، فلمّا سار رسول الله ﷺ تَخَلّف عنه عَبْد الله بن أُبي فيمن تَخَلّف من المنافقين وأهل الرَّيب فأنزل الله فيهم:

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾ [التوبة: ٤٧].

❊ انتحالهم المعاذير:

ومنها: ما كَانَ من الجدِّ بن قيس المنافق، وذلك أنَّ النَّبِيّ ﷺ لَمَّا تَجَهَّزَ لغزوة تبوك، قَالَ: «يا أبا وهب، هل لك في جلاد بني الأصفر؟ -يعني: الروم- تتخذ منهم سراري ووصفاء»، فقال جَدٌّ: يا رسول الله، لقد عرف قومي أَنِّي رجلٌ مُغْرَمٌ بالنساء، وأني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر ألا أصبر عَنْهُنَّ، ائذن لي في القعود، ولا تفتني بِهنّ، وأُعينُكَ بمالي. قَالَ ابن عَبّاس: اعتلّ جدٌّ بن قيس ولم تكن له علّة إلا النفاق، فأعرض عنه النَّبِيّ ﷺ فأنزل الله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].

❊ إلصاقهم بعض التهم بالنَّبِي ﷺ وهو منها براء:

فبينما رسول الله ﷺ يقسم قِسمًا -فيئًا- أتاهُ ذُو الخويصرة التميمي -حرقوص ابن زُهَير- أصل الخوارج، فقال: يا رسول الله، اعدل!!

فقال: «وَيْلَك فمن يَعدل إِذَا لَم أعدل؟ قد خبتَ وخسرتَ إن لَم أَكُن أعدل».

فقال عمر ﷺ: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عُنُقه.

فقال له: «**دَعه فإنّ له أصحابًا يَحقرُ أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يُجاوزُ تراقيهم، يَمرقونَ من الدين كما يَمْرُقُ السَّهْم من الرَّميّة...**». إلخ. أخرجه مسلم وغيره.

قَالَ أبو سعيد: «وأشهد أنّي سمعتُ هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن عَلي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه».

قلتُ: وفيه أنزل الله:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٨٥].

❊ **إيذاؤهم النّبي ﷺ بقولهم: هو " أُذُن ":**

فقد كَانَ جماعة من المنافقين يؤذونَ النّبيّ ﷺ ويقولون ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإنّا نَخافُ أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا. فقال الجلاس بن سُوَيد- منهم-: بل نقول ما شئنا ثُمَّ نأتيه فننكرُ ونَحلف فيصدقنا بما نقول، فإنّما مُحَمَّد أُذُن، أي: يسمع كل ما يُقالُ له، ويَقْبله، فأنزل الله تعالى:

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

❊ **استهزاؤهم بالقرآن وبالرسول ﷺ:**

كَانَ النّبيّ ﷺ يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نَفَر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن وبالرسول والثالث يَضحك، قيل: كانوا يقولون: إنَّ مُحَمَّد يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن، وإنّما هو قوله وكلامه، فأطلع الله نبيه عَلَى ذلك فقال: اجلسوا عَلَى الركب فدعاهم وقال لَهُمْ:

«**قُلتُم كذا وكذا؟**».

فقالوا: إنّما كُنَّا نَخوض ونَلعب.

قَالَ عمر: فَلَقد رأيتُ عَبْد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه، وهو يقول: إنّما كنا نَخوضُ ونلعب ورسول الله ﷺ يقول:

«أبالله وآياته، ورسوله كنتم تستهزئون ما يلتفت إليه ولا يزيده عليه».

فأنزل الله فيهم:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ ...﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦].

قلت: ومن هذه الآية استنبط العلماء أنّ مَن سَخِرَ بشيء من دين الإسلام فقَد كفَرَ، ومَرَق من الدين، وَحَبطَ عملُه في الأوَّلين والآخرين.

ولا زلنا نُقلِّب سجلَّ المنافقين الأسود، وننبه عَلَى مؤامراتِهم، ونكشفُ أقنعتهم المزيفة، لتبدو وجوههم القاتمة المغبرة، من سوء ما كسبت أيديهم للقاصي والداني، فيعلم أنّهم مِمّن قَالَ الله فيهم:

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾

[عبس: ٤٠- ٤٢].

ومِمّن قَالَ فيهم:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

وهذه القترة والغَبَرة والسَّواد قد علت وجوه المنافقين في كل عصر ومصر، يَشهد عليهم ويُشير إليهم، فالشَّجرة الخبيثة لا تُثمِرُ إلا خُبْثًا، وكُلُّ إناء يَنْضَحُ بِمَا فيه، فإشراقة الإيمان، ونَضرة الصالِحين الخاشعين العاملين بشرع الله تأبى أن تعلو وجوه أفراخ ابن سلول وابن سبعين وابن سبأ.

❋ **فتنة المال من أعظم أسباب النفاق:**

ذَكَرَ كثيرٌ من المفسرين أن ثعلبة بن حاطب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يرزقني مالاً.

فقال رسول الله ﷺ: «**وَيْحَك يا ثعلبة قليلٌ تُؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تُطيقه**».

ثُمَّ أتاهُ بعد ذلك، فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يرزقني مالاً.

فقال رسول الله ﷺ: «**أما لكَ في رسول الله أسوةٌ حسنة؟ والذي نفسي بيده لو أردتُ أن تسير الجبال مَعي ذهبًا وفضة لسارت**».

وهكذا جاءه في الثالثة، وقال له نَحو قوله الأول وزاد: فوالذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطِينّ كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ ارزُق ثعلبةَ مالاً**».

فاتَّخذَ غَنَمًا فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل واديًا من أوديتها وهي تنمو كالدود، فكان يُصلي مع النَّبِيِّ ﷺ الظهر والعصر، ويُصلي في غنمه سائر الصلوات، ثُمَّ كَثُرَت ونَمت حَتَّى تباعد بهَا عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ثُمَّ كثرت فنمت، فتباعد أيضًا حَتَّى كَانَ لا يشهد جُمعة ولا جَماعة، فكان إِذَا كَانَ يوم الجمعة خرج يتلقى الناس، يسألهم عن الأخبار، فذكره ﷺ ذات يوم فقال: «**يا ويح ثعلبة!**».

فأنزل الله آية الصدقات، فبعثَ رسولُ الله ﷺ رَجُلاً من بني سُلَيم وَرَجُلاً من جُهَيْنة وكتب لَهما أسنان الصدقة، كيف يأخذان، وقال لَهما: «**مُرَّا عَلَى ثعلبة بن حاطب**».

فخرجا إلى ثعلبة حَتَّى أتياه فسألاهُ الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ،

فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حَتَّى تفرغا من الصدقة ثُمَّ عودا إليَّ فانطلقا.. ثُمَّ رجعا إلى ثعلبة فقال: أروني كتابكما، فقرأه ثُمَّ قَالَ: ما هذه إلا أختُ الجزية، اذهبا حَتَّى أرى رأيي. قَالَ: فأقبلا فلمَّا رآهما رسول الله ﷺ قبل أن يُكلِّمهما قَالَ: «**يا وَيْحَ ثعلبة، يا ويح ثعلبة**».

ثُمَّ دعا للمسلمين بخير، فأخبراه بالذي صنعَ ثعلبة، فأنزلَ الله تعالى فيه:

﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [التوبة: ٧٥- ٧٨].

هكذا ساق الإمام البغوي هذه القصة في تفسيره "معالم التنْزيل" (٢/٣١٢-٣١٣)، وكون هذه الآيات نزلت في ثعلبة بن حاطب هذا محل نظر عِنْدَ المحققين من المفسرين، بل ردُّوه وأنكروه، وبرَّءوا ثعلبة ﷺ من تُهْمَة النِّفَاق.

❊ دفاع عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب المتهم البريء:

قَالَ الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ الله- في كتابه "الإصابة في تَمييز الصحابة" (٢/ ١٩- ٢٠) في ترجمة ثعلبة بن حاطب الأنصاري، قَالَ:

وفي كون صاحب هذه القصة إن صحّ الخبر، ولا أظنه يَصح، هو البدري المذكور فيه نظر، وقد تأكدت المغايرة بَيْنَهما بقول ابن الكلبي: إنّ البدري استشهد بأحد، ويقوي ذلك أيضًا أن ابن مردويه في تفسيره من طريق عطية، عن ابن عباس في الآية المذكورة، قَالَ: وذلك أنَّ رجلاً يُقالُ له: ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار، أتى مَجلسًا فأشهدهم، فقال: لئن أتاني الله من فضله الآية فذكر القصة بطولِها، فقال: إنه ثعلبة بن أبي حاطب، والبدري اتفقوا عَلَى أنه ثعلبة بن حاطب، وقد ثبت أنه ﷺ قَالَ: «**لا يدخل النَّار أحد شهد**

بدرًا والحديبية»(١).

وحكى عن ربه أنه قَالَ لأهل بدر:

«اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم»(٢).

فمن يكون بِهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه، وينزل فيه ما ينزل؟

فالظاهر أنه غيره، والله أعلم.

قلتُ: والخبر لا يصح -ولله الحمد- كما أكدّ ذلك الحافظ نفسه في موضع آخر فقال في تَخريج أحاديث الكشاف (ص٧٧) بعد أن ساقَ هذا الخبر بإسناده المذكور:

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ جدًّا.

ونَحوه قَالَ جمعٌ من الأئمة، بل قد صنَّف العلماء أبْحَاثًا مستقلة يذبُّونَ فيها عن الصحابي ثعلبة بن حاطب من أفضلها: "الشهاب الثاقب في الذبِّ عن الصحابي ثعلبة بن حاطب، للأستاذ سليم الهلالي، فمن أراد المزيد حول هذه الحكاية فليرجع إلى الكتاب المذكور وغيره، فتبيَّن مِمّا تقدم براءة الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب من هذه التُّهمة الشنيعة والفرية الفظيعة، فالحمد لله الَّذِي عصم أصحاب رسوله من النِّفاق!!

❊ خوض المنافقين فِي حادثة الإفك:

وقعت حادثة الإفك في غزوة بني المصطلق بافتراء من عَبْد الله بن أبي الخبيث وأصحابه، وذلك أنَّ أم المؤمنين عائشة بنت الصديق -رضي الله عنهما وأرضاهما-

---

(١) حديث صحيح: رَوَاهُ أَحْمَد، وغيره، عن جابر ﷺ مرفوعًا، وترى تَخريجه كاملاً في الصحيحة (٢١٦٠) لشيخنا الألباني -رحمه الله-.

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

كانت قد خرجت مع رسول الله ﷺ في هذه السفرة، وكانت تُحْمل في هودج، فنزلوا بعض المنازل، ثُمَّ أرادوا أن يرتَحلوا أوَّل النّهار، فذهبت إلى المبرز، ثُمَّ رجعت، فإذا هي فاقدة عقدًا لأختها أسماء كانت أعارتها إيّاه، فرجعت تلتمسه في الموضع الَّذِي كانت فيه، فجاء النفر الذين يرحلون بِهَا فحملوا الهودج، حَمله رجلٌ واحد، وليس فيه أحدٌ، فرحلوه عَلَى البعير، ولم يستنكروا خفَّته لتساعدهم عليه، فلمَّا رجعت وقد أصابت العقد لم تر بالمنزل أحدًا، فجلست في المنزل وقالت: إنَّهم سيفقدونها فيرجعون إليها، والله غالبٌ عَلَى أمره، وله الحكم فيما يشاء، وأخذتْها سِنةٌ من النَّوم فلم تستيقظ إلا باسترجاع صفوان بن المعطل السلمي ثُمَّ الذكواني، فكان قد عرس في أخريات القوم؛ لأنه كَانَ شديد النوم...

فلمّا رأى أمّ المؤمنين قَالَ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، زوجة رسول الله ﷺ ثُمَّ أَنَاخَ بعيره فقربه إليها، فركبته ولم يكلمها كلمة واحدة، ولم تسمع منه إلا ترجيعه، ثُمَّ سارَ بِهَا يقودها حَتَّى قدم بِهَا، وقد نَزَلَ الجيشُ في نحر الظهيرة، فلمّا رأى ذلك الناس تكلم المنافقون بما الله مُجازيهم به، وجعلَ عَبْد الله بن أُبي الخبيث مع ما تقدم له من الخزي في هذه الغزوة يتكلم في ذلك ويستحليه، ويظهره ويشيعه ويبديه، وقد بَرَّأ الله أمَّ المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق من فوق سبع سموات مِمّا اتَّهمها به أهل الإفك من المنافقين، وأنزل الله فيها قرآنًا يُتلى إلى قيام الساعة، فمن أطالَ لسانه فيها كذَّب الله ورسوله، ولَحق بطائفة المارقينَ من الزنادقة والمنافقين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ [النور: ١١].

❋ المنافقون ومؤامرة مسجد الضرار:

قَالَ الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧- ١٠٨].

قَالَ المفسرون: نزلت هذه الآية في جَماعة من المنافقين بنوا مسجدًا يضارُّونَ به مسجد قباء، وكانوا اثني عشر رَجُلاً من أهل النفاق، بنوا هذا المسجد مضارة للمؤمنين، فلمّا فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله، إنّا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنّا نُحبُّ أن تأتينا وتُصلي فيه، وتدعو لنا بالبركة. فقال لَهُمْ رسول الله ﷺ: «إِنِّي عَلَى جناح سَفَر، ولو قدمنا -إن شاء الله- أتيناكم فصلّينا لَكُم فيه».

فلمّا رجعَ رسول الله ﷺ من تبوك وقبل وصوله المدينة نزلت عليه هذه الآيات تفضحُ المنافقين، وتكشف أبعاد المؤامرة الَّتِي بيتوها بليل، ليكيدوا للإسلام وأهله، فيضربوا الإسلام باسم الإسلام وما هُم من الإسلام والإيمان في شيء، وكان بناء مسجد الضرار بتحريض من أبي عامر الرَّاهب المُكنى بـ: (الفاسق) وكان قد تَنصَّر في الجاهلية، ولبسَ الْمُسوحَ ونافقَ فلمّا قَدِمَ النَّبيّ ﷺ المدينة قَالَ له أبو عامر: ما هذا الَّذِي جئت به؟

قَالَ: «جئتُ بالحنيفية السَّمحة دين إبراهيم».

قَالَ أبو عامر: فإنّا عليها.

فقال له النَّبيّ ﷺ: «إنك لست عليها».

قَالَ: بلى، ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها.

فقال النَّبيّ ﷺ: «ما فعلت، ولكنّي جئتُ بهَا بيضاء نقيَّة».

فقال أبو عامر: أماتَ الله الكاذِبَ منَّا طريدًا وحيدًا غريبًا.

فقال النَّبي ﷺ: «آمين».

وسَمَّاهُ: «أبا عامر الفاسق».

فلمّا كَانَ يوم أحد، قَالَ أبو عامر لرسول الله ﷺ: لا أجدُ قومًا يقاتلونك إلا قاتلت معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلمّا انهزمت هوازن لَحق أبو عامر بالرُّوم، ومن هناك أخذ يتآمر عَلَى الإسلام، ويراسل المنافقين يؤلبهم عَلَى رسول الله ﷺ.

❋ النفاق الأكبر ذنب لا يُغفر:

وذلك إن مات صاحبه متلبسًا به، ولم يتب منه توبة نصوحًا خالصة، قَالَ الله تعالى مُبيِّنًا سوء منقلب المنافقين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٧- ١٣٨].

وقال لنبيه ﷺ في شأن المنافقين:

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

قَالَ الإمام البغوي في تفسيره "معالم التنزيل" (٢/٣١٥) في تفسير الآية:

لفظ أمر معناه الخبر تقديره: استغفرت لَهُمْ أم لم تستغفر لَهُمْ لن يغفر الله لَهُمْ وذكر السبعين في العدد للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة، قَالَ الضحاك:

لما نزلت هذه الآية قَالَ رسول الله ﷺ: «**إنّ الله قد رخَص لي فسأزيدنّ على السبعين لعلّ الله أن يغفر لَهم**».

فأنزل الله عَلَى رسوله:

﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾ [المنافقون: ٦].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

اتباع رسول الله ﷺ شرط لنوال محبة الله تعالى

والمنافقون ليسوا منهم لأنَّهم لم يسلكوا سبيل المغفور لَهُمْ ولم ينخرطوا في سلكهم عن عقيدة وإيمان، وإنّما تظاهروا بالإيمان، وأبطنوا العداوة والكفران لِجند الرَّحْمَن وللسنة والقرآن، قَالَ تعالى:

﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

فشرط لِمغفرة ذنوبهم ومحبتهم متابعة نبيه ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

وكيف يغفر الله للمنافقين وهم لَم يؤمنوا برسوله، ولم يستجيبوا لدعوته؟

قَالَ تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

وهم لم يقرضوا الله قرضًا حسنًا وهو غنيٌّ عنهم، فأمسكوا أيديهم، وبَخلوا بِما آتاهم الله من فضله، قَالَ تعالى:

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [التغابن: ١٧].

ولم يشملهم دُعاء الملائكة للمؤمنين فينتفعوا به، قَالَ تعالى حاكيًا عنهم:

﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ولم يشملهم دعاء المؤمنين من السابقين واللاحقين ومن جاء بعدهم من المؤمنين إلى يوم الدين، قَالَ تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ

وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فالواجب توقير وتعظيم السابقين من الأنصار والمهاجرين ومن تبعهم والدعاء لَهم بالثناء عليهم وذكر محاسنهم وفضائلهم، لا الخوض في أعراضهم والطعن في أعيانِهم فإن ذلك من أعظم الظلم والعدوان عَلَى من شهد الله لَهُمْ بالرضا، وشهد لَهُمْ الرسول ﷺ بالخيرية.

فمن أظلم مِمّن كذب شهادة الله وشهادة رسوله، ولما بلغ النَّبِيّ ﷺ ما قاله خالد بن الوليد ﷺ -وهو مِمّن تأخر إسلامه- في عَبْد الرَّحْمَن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة -وهو من السابقين- قَالَ غاضبًا:

«لا تَسُبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفقَ مثلَ أحد ذهبًا ما بلغَ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفه» أخرجه أَحْمَد والبخاري ومسلم وغيرهم.

فكل سابق بالخير له فضل على اللاحق له بذلك الخير، سنَّة الله في خلقه، ولا يَجحد الفضل لأهل الفضل إلا جَحودٌ نَكُودٌ.

وهم لم يتوبوا ويصلحوا ليغفر الله لَهم، قَالَ تعالى: **﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [آل عمران: ٨٩].

وهم لم يصبروا ولم يُجاهدوا بنية خالصة لله تعالى، قَالَ تعالى:

﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

وهم لم يصلحوا ولم يتقوا لينالوا مغفرة الله، قَالَ تعالى:

﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩].

ثُمَّ هُمْ لم يتوبوا من نفاقهم وكفرهم، ولم يعملوا الصالِحات، ولم يسلكوا سبيل المهتدين، قَالَ تعالى:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

وهم أكثر الناس غفلة عن ذكر الله، قَالَ تعالى:

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومثل ذلك كثير في كتاب الله في بيان أوصاف المغفور لَهُمْ، والمنافقون ليسوا من هؤلاء جَميعًا لا من قريب ولا من بعيد، فلا تشملهم رحمة الله وعنايته.

❊ تَحريْم الصلاة عَلَى المنافقين وتَحريْم دفنهم مع المسلمين:

لَمَّا كَانَ المنافق كافرًا في الباطن حَرَّم الله دفنه مع المسلمين -إن عُلِمَ حاله- بل تَحرم الصلاة عليه، سواء كانت صلاة جنازة، أو صلاة دُعاء، كطلب المغفرة والرحمة لَهُمْ، وقد تقدم نَهي الله رسوله عن الاستغفار للمنافقين، فالمنافق الذي عُلِمَ نفاقه ينبغي أن يُعامل معاملة الكافر المُلحد والكافر المشرك زجرًا لأمثاله من المنافقين المعلنين منهم والمبطنين، وهذا من أوثق عُرَى الإيمان، ولذلك جاء الأمرُ الإلـهي إلى النَّبيِّ ﷺ يَنْهاه عن الصلاة عليهم والقيام عِنْدَ قبورهم، قَالَ تعالى:

﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

فلمّا نزلت هذه الآية عَلَى النَّبي ﷺ لم يُصلِّ بعدها عَلَى مُنافق، ولا قام عَلَى قبره حَتَّى قُبض.

❊ وجوب جهاد المنافقين:

لقد جاءَ الإسلامُ العظيم ليقرر مبدأً عظيمًا، لا يتمُّ إيمان المرء إلا بتحقيقه ألا وهو: "الولاء والبراء"، فتجبُ موالاة أولياء الرَّحْمَن، ومُعاداة أولياء

الشيطان، والتشريد بهم، وجهادهم باللسان والسِّنَان، فحب المنافق نفاق، وبغضه إيمان، وجهاده من أعظم الجهاد، المُفضي إلى مرضاة الله تعالى، قَالَ تعالى لنبيِّه ﷺ والخطاب عام لأمته:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

وقال تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

❊ مواقف مُشرفة في مواجهة المنافقين من أقرب الناس إليهم:

لَمَّا بلغ عَبْد الله بن عَبْد الله بن أُبَي بن سلول ما كَانَ من أمر أبيه عندما قَالَ: ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذل. يريد أنه الأعز، والنبي الأذل -كبرت كلمة خرجت من فيه-، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّهُ بلغني أنّك تريد قتل عَبْد الله بن أُبي لِمَا بلغك عنه، فإن كُنتَ فاعلاً فَمُرني به، فأنا أحملُ إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كَانَ بِهَا رجلٌ أبرُّ بوالديه مِنِّي، وإنِّي أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عَبْد الله بن أُبيّ يَمشي في الناس، فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل نرفق به، ونُحسن صحبته ما بقي معنا».

وكان عَبْد الله بن أُبي -رأس النفاق- قد أتى بقرب المدينة، فلمّا أراد أن يدخلها جاءه ابنه عَبْد الله بن عَبْد الله حَتَّى أناخَ عَلَى مجامع طرق المدينة، فلمّا جاء عَبْد الله بن أُبيّ -والده- قَالَ: وراءك!! قَالَ: ما لك ويلك؟! قَالَ: لا والله لا تدخلها أبدًا إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلمن اليومَ من الأعزُّ من الأذل، فشكا عَبْد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه، فأرسلَ رسول الله ﷺ أن

خلِّ عنه حتَّى يدخل، فقال: أما إذا جاء أمرُ رسول الله ﷺ فنعم، فدخل فلم يلبث إلا أيّامًا قلائل حتَّى اشتكى ومات، وفيه أنزل الله:

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

قلتُ: نزلت هذه الآية تصديقًا لغلام مؤمن، وتكذيبًا لإمام من أئمة النّار، ليبوء بالخزي والعار في هذه الدار وفي الآخرة دار القرار، سنَّةُ الله في المنافقين الكفرة الفجار.

❊ كَانَ الأعراب مِمَّن حول المدينة من أعظم الناس نفاقًا إلا من رحم الله:

قد ذكر الله المنافقين عمومًا وحذر من نفاقهم، وبَيَّنَ شنيع أعمالهم وخبث طباعهم، وذكر المنافقين من الأعراب عَلَى وجه الخصوص كاشفًا الدور المشين الَّذِي لعبوه والسبيل المهلك الَّذِي سلكوه، قد أشربت قلوبهم النفاق كما أشربت قلوب بني إسرائيل حب العجل، ولعل هذا معنى وصف الله لَهُمْ بقوله: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١].

وها هي مواقفهم مع رسول الله ﷺ كما حكاها الله عنهم.

فنفقاتهم جعلوها مغرمًا فلا يرجون عَلَى إعطائها ثوابًا ولا يَخافونَ من إمساكها عقابًا وإنّما ينفقونَ خوفًا ورياءً لا يبتغونَ وجه الله والدار الآخرة.

قَالَ تعالى: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٨].

وهم قد مَردوا عَلَى النفاق، أي: مرنوا عليه ولَجُّوا فيه، وأقاموا عليه، ولم يتوبوا منه.

قَالَ الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا

عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

واختلف المفسرون في عذابهم مرتين، فقيل: الأول إخراج الرسول ﷺ ناسًا منهم من المسجد وفضحهم، والثاني: عذابُ القبر.

وقال مُجاهد: الأول القتل والسبي، والثاني: عذابُ القبر.

وعن ابن عباس: الأولى: إقامة الحدود عليهم، والأخرى: عذاب القبر.

وقيل: إحداها: ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عِنْدَ قبض أرواحهم. والأخرى: عذابُ القبر.

وقيل: الأول: إحراقُ مسجد الضرار. والأخرى: إحراقهم بنار جهنم.

- دعوى كثير من الأعراب الإيمان، دعوى مردودة يكذبها القرآن، فالإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل، والإيمان والإسلام بَيْنَهُما عموم وخصوص فكل مؤمن مسلم وليس كلُّ مسلم مؤمنًا، ولذلك لَمّا زعم الأعراب الإيمان نفاهُ الله عنهم؛ لأنه لم يتغلغل في أعماق قلوبهم وإن تظاهروا ببعض أعمال الإسلام تقية ونفاقًا، ولذا فضحهم الله عَلَى رءوس الأشهاد بِما في قلوبهم، قَالَ تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

قَالَ البغوي (٢١٨/٤): "نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا عَلَى رسول الله ﷺ في سنة جدبة فأظهروا الإسلام، ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالقذرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يغدونَ ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العرب بأنفاسها عَلَى ظهور رواحلها، وجئناك

بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فُلان وبنو فلان يمنون عَلَى النَّبيِّ ﷺ ويريدون الصدقة، ويقولون: أعطنا. فأنزلَ الله فيهم هذه الآية.

وقد بَيَّن الله ﷻ ما عليه كثير من الأعراب من كُفر ونِفَاق، ونَزَّه طائفة منهم منهما، وأثنى عليهم، وأثبت لَهُمْ الإيمان بالله واليوم الآخر، قَالَ تعالى مُبيِّنًا حال الطائفتين من الأعراب.

الأولى: المنافقة الكافرة الجاهلة بحدود الله وشرعه:

﴿**الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٩٧].

والثانية: المؤمنة التي رحمها الله وغفر لَهَا بسبب إيمانها وأعمالها الصالحة:

قَالَ تعالى: ﴿**وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ٩٩].

قَالَ مُجاهد: هُمْ بنو مقرن من مُزينة.

وقال غيره: هُم أسلم وغفار وجُهينة.

قلت: من النفاق اتخاذ المنافقين والكفار أولياء؛ لأنَّ الواجب الإيماني يقتضي من المسلم موالاة أولياء الله، ومُعاداة أعداء الله والنفرة منهم والتحذير منهم وبُغضهم ومقتهم؛ لأن الإيمان هو الرابطة الَّتِي تَحكم ولاء المسلم بالآخرين، فإذا عُدم هذا الإيمان فالولاء لله وحده، قَالَ تعالى:

﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيْمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

فمن أحبَّ أعداء الله ووالاهم لم يَكُن مُؤمنًا في الباطن وإن تظاهر بالإسلام؛ لأن الولاء والبراء جزء لا يتجزأ من الإيمان.

❊ مصاحبة المستهزئين بآيات الله والجلوس إليهم دون إنكار عليهم نفاق:

من المعلوم لكل ذي لب من المسلمين علماء وعامّة أنّ من سَخِرَ بآيات الله أو استهزأ بشيء من الدين بالضرورة –أنه كَافرٌ مُرتَدٌّ مُنافق كذاب؛ لأن الإيمان يستلزم التصديق والاعتقاد والانقياد، والمستهزئ مُكذب في الباطن وإن زعم التسليم في الظاهر، وموقف المسلم الحق من كل مُستهزئ الْهَجر والتَّشريد به ونبذه واطّراحه فإن اجتمع به فلأجل الإنكار عليه والإغلاظ فحسب، وإلا كان هو وهم في منزلة واحدة وهذا الَّذِي أصاب بعض علماء بني إسرائيل حيثُ كَانَ الواحد منهم يَلقى أخاهُ عَلَى الْمنكر فيُنكر عليه، ثُمَّ يأتيه في الغد فيلقاهُ عَلَى حاله الأول -أي عَلَى منكره- فلا يَمنعه ذلك أن يكون جليسه وأكيله وشريبه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض وقال فيهم:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨- ٧٩].

فالإيـمان يطلب من أهله ألاَّ يركنوا إلى المنافقين الكفرة، ولا يتَّخذوهم أصدقاء وأصحابًا، وإلاَّ كانوا عِنْدَ الله سواء قَالَ الله تعالى:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ

وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

فانظر -رَحِمَكَ اللهُ- كيف نَهى الله عن القعود مع المستهزئين بآيات الله، وجعلَ الجالس معهم عَلَى سبيل المودة وترك الإنكار مثلهم في الجرم سواء بسواء، وقدم المنافقين عَلَى الكافرين وألبس المستهزئين ثياب الكفر والنِّفاق، وجَمعهم جميعًا في جَهنَّم كما اجتمعا جَميعًا عَلَى السخرية بدينه وأهل طاعته.

❊ **الصفات الَّتي وصف الله بها المنافقين:**

- .وصمهم بالكذب، قَالَ تعالى: ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

- وصمهم بالصَّدِّ عن سبيل الله وسوء العمل، قَالَ تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

- ووصمهم بالجهل وقلّة الفقه، قَالَ تعالى: ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

- تشبيههم بالخُشُب المُسَنَّدة لإفكهم ثُمَّ دعاؤه عليهم، قَالَ تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

- النفور من دعوة الحق وسماع الموعظة، قَالَ تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].

- فسقُهم وخروجهم عن طاعة الله، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦].

- حجبُ العزَّة عنهم وإلصاق الذل بهم، قَالَ تعالى: ﴿وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

- وصفهم بالخسران؛ لأنَّهم ألْهَتْهُم دنياهُم عن أُخراهُم، قَالَ تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

- ألسنتهم حادة ويشحون بالخير، قَالَ تعالى: ﴿سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأحزاب: ١٩].

- اللعنة تلاحقهم حيثما حلوا وأينما اتَّجهوا، قال تعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦١].

- أموالهم وأولادهم عليهم حسرة وندامة وعذاب، قَالَ تعالى: ﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥].

❊ قبول توبة الثلاثة الذين خلفوا وبراءتُهم من النِّفَاق:

وقبل أن نَسرد قصَّة هؤلاء الأصحاب الثلاثة وما وقع لَهُمْ من محنة وابتلاء عظيمين -بسبب تخلفهم عن رسول الله ﷺ كما رواها الحفّاظ- لابُدَّ من الإشارة إلى الظروف العصيبة الَّتِي سبقت هذه الغزوة من شدة، وقحط، وقلَّة زاد، وظهر وغير ذلك فهي حقًّا كما سماها الله: «ساعة العسرة» إنّها غزوة تبوك العظيمة الَّتِي ابتلى الله بِهَا النَّاس جَميعًا فكم فيها من مواعظ ودروس وحكم.

قَالَ مُجاهد: "... وذلك أنَّهم خرجوا إليها في شدة من الأمر، جدب، وحر، وعسر من الزّاد والماء حَتَّى إن الرَّجُلين كانا يشقان التَّمرة بَيْنَهُما".

وروى ابن جرير، عن ابن عباس، أنّ عمر بن الخطاب قَالَ: «... وحتى إنَّ الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويَجعل ما بقي عَلَى كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إنّ الله ﷻ قد وَعَدَك في الدُّعاء خيرًا فادعُ لنا».

فقَالَ: «أتُحبُ ذلك؟».

قَالَ: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حَتَّى سالت السَّماء فأهطلت ثُمَّ سكنت، فملئوا ما معهم، ثُمَّ ذهبنا ننظر فلم نَجدها جاوزت العسكر.

قلت: وقد ساق الإمام ابن كثير في تفسيره (٢/٣٩٧- ٤٠٠) قصَّة كعب بن مالك وأصحابه مطوَّلة فهاهي أذكرها كما يَحكيها كعب بن مالك نفسه ﷺ.

قَالَ كعب بن مالك: لم أتَخلَّف عن رسول الله ﷺ في غَزاةٍ قَطّ إلا في غزوة تبوك، غير أني تَخلفت في غزاة بدر، ولَم يُعاتب أحدًا تَخلَّف عنها، وإنّما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قُريش، حَتَّى جَمع الله بينهم وبين عدوهم عَلَى غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا عَلَى الإسلام وما أحب أن لي بِهَا مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكرُ في النّاس وأشهر، وكان من خبري حين تَخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، أنّي لَم أكُن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة.

والله ما جَمعتُ قبلها راحلتين قط حَتَّى جَمعتهما في تلك الغزوة، كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبلَ سفرًا بعيدًا ومفاوز، واستقبلَ عددًا كثيرًا فخلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم، فأخبرهم وجهه الَّذِي يُريد، والمسلمون مع رسول الله كثير، لا يَجمعهم كتاب حافظ -يريدُ الدِّيوان-.

قال كعب: فَقلَّ رَجُل يريدُ أن يغيب، قَالَ كعب: إلا ظنّ أن ذلك سيخفى به ما لم ينْزل فيه وحيٌ من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وأنا إليها أصْعَرُ، فتجَهَّزَ إليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه، فطفقتُ أغدو لكي أتَجهز معه، فأرجع ولم أقض شيئًا، فأقول لنفسي:

أنا قادرٌ عَلَى ذلك إن أردت، فلم يزل يتمادى بي حَتَّى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئًا، وقلتُ: أتجهز بعد يوم أو يومين ثُمَّ ألحقه، فغدوتُ بعدها لأتجهز فرجعت ولَم أقض من جهازي شيئًا، فلم يَزَل يَتمادى بي حَتَّى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممتُ أن أرتَحِل فألحقهُم، وليت أنِّي فعلت، ثُمَّ لم يُقَدّر ذلك لي، فطفقتُ إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يَحزُنني أنِّي لا أرى إلا رَجُلاً مغموصًا عليه في النِّفَاق، أو رجُلاً مِمّن عَذَر الله ﷻ، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حَتَّى بلغ تبوك، فقال وهو جالسٌ في القوم بتبوك: **«ما فعلَ كَعبُ بن مالك؟»**.

فقال رجل من بني سلمة: حَبَسَهُ يا رسول الله بُرداه، والنَّظَرُ إلى عطفيه.

فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا، فسكت رسول الله ﷺ.

قَالَ كعب: فلمّا بلغني أن رسول الله ﷺ قد توَجَّه قافلاً من تبوك حضرني بَثِّي، وطفقتُ أتذكر الكذب، وأقول: بِماذا أخرج من سخطه غدًا وأستعينُ عَلَى ذلكَ بكُلِّ ذي رأي من أهلي، فلمّا قيل: إنّ رسول اله ﷺ قد أظلَّ قادِمًا زاحَ عَنِّي الباطل وعَرَفتُ أنِّي لم أنْجُ منه بشيء أبدًا، فأجْمَعتُ صدقه، فأصبح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إِذَا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلَّى ركعتين ثُمَّ جلس للنّاس، فلمَّا فَعَلَ ذلك جاءه الْمُخلَّفونَ فطفقوا يعتذرونَ إليه ويَحلفونَ له، وكانوا بضعًا وثمانين رجلاً فيقبلُ فيهم رسول الله ﷺ علانيتهم، ويستغفر لَهُمْ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى حَتَّى جئت. فلمّا سلَّمتُ تَبَسَّم تَبَسُّمَ المغضب ثُمَّ قَالَ لي: **«تَعالَ!»**.

فجئتُ أمشي حَتَّى جلستُ بين يديه، فقال لي: **«ما خَلّفك؟ ألَم تكن قد**

اشتريت ظَهْرًا؟!».

فقلتُ: يا رسول الله، إني لو جلستُ عِنْدَ غيرك من أهل الدُّنْيَا لرأيتُ أن أخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيتُ جَدَلاً، ولكنِّي والله لقد علمت لئن حدثُتك اليوم حديث كذب ترضى به عَنِّي ليوشكن الله يُسخطك علَيَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تَجدُ عليّ فيه، إني لأرجو عُقبى ذلك من الله ﷻ، والله ما كَانَ لي عُذر، والله ما كنت أفرغ ولا أيسر مني حين تَخَلفت عنك.

قَالَ: فقال رسول الله ﷺ: **«أمّا هذا فقد صدق، فقم حَتَّى يقضي الله فيك»**.

فقمتُ وقام إليَّ رجالٌ من بني سلمة واتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بِمَا اعتذر إليه المخلفون، فقد كَانَ كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك.

قَالَ: فوالله ما زالوا يؤنبونَني حَتَّى أردتُ أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي.

قَالَ: ثُمَّ قُلتُ لَهُمْ: هل لَقِيَ معي هذا أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رَجُلان، قالا مثل ما قلت، وقيل لَهما مثل ما قيل لك.

قَالَ: فقلتُ: من هُمَا؟ قالوا: مُرارةُ بن الربيع العامري، وهلال بن أُمَيّة الواقفي؟

قَالَ: فذكروا لي رجلين صالحين قد شَهدا بدرًا فيهما أسوة. قَالَ: فمضيتُ حين ذكروهما لي.

ونَهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أَيُّها الثلاثة من بين من تَخلف عنه، قَالَ: فاجتنبنا الناس وتغيروا كثيرًا حَتَّى تنكرت لي في نفسي الأرض التي كنت

أعرف، فلبثنا عَلَى ذلك خمسين ليلة.

فأمّا صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان.

وأمّا أنا فكنتُ أشد القوم وأجلدهم، فكنتُ أشهدُ الصلاة مع المسلمين، وأطوفُ في الأسواق ولا يُكلمني أحدٌ، وآتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بعد الصلاة فأُسلم، وأقول في نفسي: أَحرَّك شفتيه برد السلام أم لا؟

ثُمَّ أُصَلِّي قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفتُ نَحوه أعرض عني، حَتَّى إِذَا طالَ ذلك علي من هجر المسلمين، مشيتُ حَتَّى تسورتُ جدارَ حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحبُّ الناس إليّ، فسلمت عليه فوالله ما رد عليَّ السلام، فقلتُ له: يا أبا قتادة، أنشدُك الله، هل تعلمني أُحبُّ الله ورسوله؟ فسكت، قَالَ: فَعُدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم.

قَالَ: ففاضت عيناي، وتوليتُ حَتَّى تسورت الجدار، فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذ أنا بنبطيٍّ من نَبَط أهل الشام مِمّن قَدِمَ بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يَدُلُّ عَلَى كعب بن مالك؟ فطفق الناس يُشيرونَ له إليَّ حَتَّى جاءني فدفعَ إليَّ كتابًا من ملك غسان، وكُنتُ كاتبًا، فإذا فيه: «أمّا بعد فقد بلغنا أن صاحبك جفاك، وإن الله لم يَجعلك في دار هوان ولا مضيعة، فالْحَقْ بنا نُواسِك».

قَالَ: فقلتُ حين قرأته: وهذه أيضًا من البلاء، فتيمَّمتُ من التَّنُور فسجرته به، حَتَّى إِذَا مضت أربعون ليلة من الخمسين إِذَا برسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: يأمُرك رسول الله ﷺ أن تعتزل امرأتك.

قَالَ: فقلتُ: أطلقها أم ماذا أفعل؟

قَالَ: بل اعتزلها فلا تقربنَّها، قَالَ: وأرسلَ إلى صاحبّي بِمثل ذلك. فقلتُ لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حَتَّى يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء، قَالَ: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، إن هلالاً شيخٌ ضعيف ليس له خادم، فهل تكرهُ أن أخدمه؟

قَالَ: **«لا، ولكن لا يقربَنَّك»**.

فقالت: وإنه والله ما به من حركة إلى شيء، وإنه والله ما زالَ يبكي منذُ كَانَ من أمره ما كَانَ إلى يومه هذا. فقال لي بعضُ أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك، فقد أذنَ لامرأة هلال بن أمية أن تَخدمه؟ قَالَ: فقلتُ: والله لا أستأذنُ فيها رسول الله ﷺ، وما أدري ما يقول فيها رسول الله ﷺ إذا استأذنته وأنا رجلٌ شاب، فلبثنا عشر ليال، فكَمُل لنا خَمسونَ ليلة من حين نَهى عن كلامنا.

ثُمَّ صليتُ الصبح صباح الخمسين ليلة عَلَى ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالسٌ عَلَى الحال الَّتِي ذكر الله تعالى مِنَّا، قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت عَليَّ الأرض بِمَا رَحُبَت، سَمِعتُ صوت صارخ أوفى عَلَى جبل سلع يقول بأعلى صوته: أبشر يا كعب بن مالك، فخررتُ ساجدًا، وعرفتُ أنَّهُ قد جاء الفرج من الله ﷻ بالتوبة علينا.

فآذنَ رسول الله ﷺ بتوبة الله ﷻ علينا حين صَلَّى الفجر فذهبَ النَّاسُ يُبَشِّروننا، وذهب قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبشرون، وركضَ رجُلٌ إليَّ فرسًا وسعى ساع من أسلم وأوفى عَلَى الجبل، وكان الصوتُ أسرع من الفرس، فلمّا جاءني الذي سمعت صوته يُبشرني نزعتُ له ثوبيّ فكسوتُهُما إيَّاه ببشارته، والله ما أملكُ يومئذ غيرهما، واستعرتُ ثوبين فلبستُهُما، وانطلقت أتأمَّمُ رسول الله ﷺ

وتلقاني الناس فوجًا فوجًا يُهَنِّئونني بالتوبة ويقولون: ليهنك توبة الله عليك، حَتَّى دخلتُ المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناس حوله، فقام طلحة بن عُبَيد الله ﷺ يُهَرول حَتَّى صافحني وهنأني، والله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره. قَالَ: فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قَالَ كعب: فلمّا سلَّمتُ عَلَى رسول الله ﷺ قَالَ وهو يَبْرُق وجهه من السرور: «**أبشر بخير يوم مَرَّ عليك مُنذُ ولدتك أمُّك**».

قَالَ: قلتُ: أمن عِنْدك يا رسول الله أم من عِنْد الله؟

قَالَ: «**لا، بل من عِنْد الله**».

وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجهُهُ حَتَّى كأنَّهُ قطعةُ قمر، حَتَّى يعرف ذلك منه، فلمّا جلست بين يديه قلتُ: يا رسول الله، إنّ من توبتي أن أنخلعَ من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله.

قَالَ: «**أمسك عليك بعض مالك فهو خَيْرٌ لك**».

قَالَ: فقلتُ: فإنِّي أمسكُ سَهْمي الَّذِي بِخيبر.

وقلتُ: يا رسول الله، إن الله تعالى إنّما نَجَّاني بالصدق، وإنّ من توبتي ألا أُحدِّث إلا صدقًا ما بقيت، قَالَ: فوالله ما أعلمُ أحدًا من المسلمين أبلاهُ الله من الصدق في الحديث مُنذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسنَ مِمَّا أبلاني الله تعالى، والله ما تَعَمَّدتُ كذبةً منذ قُلتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يَحفظني الله تعالى فيما بقي.

قَالَ: فأنزل الله تعالى: ﴿**لَقَد تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا**

رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٨].

قلت: وهذه عاقبة الصدق والصبر والاستكانة لأمر الله، والثبات عَلَى الحق رغم المغريات والمراودة بالباطل من قبل خصوم الإسلام وتقبل الله توبتهم وغسل حوبتهم بعد أن هجرهم النّاس لِخمسين يومًا حَتَّى أقرب الناس إليهم، فتهذبت نفوسهم وتربت عَلَى الخير ونشطت للجهاد أكثر وأكثر بعدما أصابَهم من الضيق والكرب بِهجر المسلمين لَهُمْ حَتَّى كانوا كما قَالَ الله فيهم: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ بعد كل ذلك جاء الفرج، ورفع الكرب وكشفت الغمة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾، فكانت قصتهم وواقعتهم درسًا للأمة عَلَى مرِّ السنين، وعظة وعبرة لكل من تَخلَّف عن الجهاد من غير عذر مع استكمال أسبابه ومقوماته من عدة وعتاد، اللَّهُمَّ اجعلنا من الذين يُجاهدونَ في سبيلك حقًّا، إنَّك وليُّ ذلك والقادر عليه.

وقد أخرجَ حديث كعب بن مالك ﷺ البخاري ومسلم وغيرهما، وهو كما قَالَ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره للآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها.

*****

السنة أيضًا حافلة بذكر المنافقين

لئن كَانَ القرآن قد حفلَ بذكر المنافقين وفضحهم وكشف زيفهم ومؤامراتهم ودسائسهم، فالسُّنة أيضًا كشفت النِّقَاب عنهم، وهتكت أستارهم، وحذَّرت منهم، وبيَّنت سوء منقلبهم.

❋ **التَّخلف عن صلاة الجماعة نفاق عملي:**

وذلك أن الإسلام أَولى صلاة الجماعة اهتمامًا عظيمًا، وجعل لَهَا من الأجر والثواب أضعافًا مضاعفة من ثواب صلاتها في البيت، وقد بلغ من النبي ﷺ النكير عَلَى المتخلفين عنها أنّه هَمَّ بأن يَحرق البيوت عَلَى رءوس المتخلفين عنها، لولا ما خشي من تأذِّي النساء والذرية، وقد جعلها الله سبحانه سببًا لتكفير الذنوب وزيادة الأجور، ورفع الدرجات، وفيها ترغيم للشيطان وجنده، إذ يغيظهم انضمام المسلم إلى إخوانه في المسجد يُصلي معهم؛ لأنه أقوى عَلَى الواحد من الاثنين، وعلى الاثنين من الثلاثة، وإذا كانت الشاة مع أخواتها لم يقدر عليها الذئب، فإذا انفردت خلا بهَا وافترسها، وكذلك الإنسان، فالشيطان هو ذئب الإنسان، لذلك أمر النَّبيّ ﷺ بالجماعة فقال: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بادية لا تقام فيهم صلاة الجماعة إلا استحوذَ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة فإنّما يأكلُ الذئبُ من الغنم القاصية**». رَوَاهُ أبو داود بإسناد جيد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

لذلك لم يرخص لابن أم مكتوم الرجل الأعمى في التخلف عن صلاة الجماعة مع أنّ المدينة كثيرة الهوام والسباع، وليس للرجل قائد يقوده إلى

المسجد فمن تَخلَّف عن صلاة الجماعة بغير عذر كَانَ مُنافقًا، خصوصًا صلاة الفجر والعشاء، فهما أثقل صلاتين عَلَى المنافقين، قَالَ رسول الله ﷺ:

«ليس صلاة أثقل عَلَى المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا». متفق عليه.

وهاهو ابن مسعود ﷺ يُبيِّن أهمية صلاة الجماعة، وأحوال الصحابة في صلواتهم مع الجماعة فيقول: «من سَرَّهُ أن يلقى الله تعالى غدًا مسلمًا فليحافظ عَلَى هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بِهن، فإنّ الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنّهنَّ من سُنن الهدى، ولو أنّكم صليتم في بيوتكم كما يُصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سُنَّة نبيكم، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا مُنافق معلوم النفاق، ولقد كَانَ الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين -مُستندًا إليهما لشدة ضعفه ومرضه مَخافة أن يسقط- حَتَّى يُقام في الصف» رَوَاهُ مسلم.

※ التخلف عن ثلاث جُمَع فصاعدًا من غير عُذر نفاق:

وذلك أن صلاة الجمعة خطب عظيم لا يسع المسلم التخلف عنها وهي فرض عظيم من فرائض الإسلام دعا الله إليها بقوله: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ**﴾ [الجمعة: ٩].

والنبي ﷺ حثَّ عليها في سنته في أحاديث كثيرة، وحذَّر من التخلف عنها بقوله: **«من ترك ثلاث جُمع تَهاونًا بِهَا طبع الله عَلَى قلبه»**.

أخرجه أصحاب السنن، وأحمد، والحاكم من حديث أبي الجعد بسند صحيح.

وفي حديث آخر أصرح منه عن أسامة بن زيد قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ:

«من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين». أخرجه الطبراني.

قلتُ: فليتقِ الله أقوامٌ لا يُصَلُّونَ إلا في رمضان، وربّما حرصوا عَلَى الجمعة الأخيرة منه، وتركوا الصلوات سائر العام، لزعمهم أن حضور الجمعة الأخيرة من رمضان يُكفر ذنوب سبعين سنة، وهذا جهلٌ فاضح بالدين والعياذُ بالله، وآخرون يتركون الصلوات الخمس ويصلون الجمع فقط، وآخرون من العامّة والخاصة خصوصًا الجبابرة والمترفون لا يصلون إلا في المناسبات كالأعياد ونَحوها إذًا اقتضت الحاجة، وهؤلاء لا شك منافقون ينطبقُ عليهم قول الله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

❊ بغض الأنصار من علامات النفاق:

وذلك لِمَا للأنصار من سبق إلى الإسلام وجهاد مع رسول الله ﷺ وبذل المال والنفس، وقد ضربوا أروع الأمثلة ﷺ في جهادهم وتضحيتهم مع رسول الله ﷺ ، وهم لم يقولوا لرسول الله ﷺ كما قالت بنو إسرائيل لِموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، بل قالوا: «اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون».

وقالوا: «والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناهُ معك»، وقد فدوا رسول الله ﷺ بالأنفس والْمُهَجِ، والأموال والذرية وأحبوه ونصروه، واتبعوا النُّورَ الَّذِي أُنزلَ معه، أمّا إيثارهم لإخوانِهم المهاجرين ومؤاخاتُهم إياهم وتقاسم لقمة العيش معهم فحدِّث ولا حرج، بل لم يشهد التاريخ تضامنًا اجتماعيًا وتآخيًا ومَحبّة وإيثارًا مثل ما شهده عندما هاجر الصحابة إلى المدينة فتلقاهم إخوانُهم الأنصار، فرجالٌ هذا شأنُهم وهذا حالُهم وهذا فضلهم، تَجب موالاتُهم وحبّهم وتعظيمهم والثناء عليهم، فمن بَغِضَهم فهو منافقٌ، لأن الله

ورسوله أحبّهم وأنزل فيهم قرآنًا يُتلى إلى قيام الساعة، قَالَ تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال ﷺ: «حُبّ الأنصار آية الإيْمان، وبغض الأنصار آية النفاق»، أخرجه مسلم، والنسائي، عن أنس.

❊ الكذب والخيانة وخلف الوعد من أبرز سِمات النِّفاق:

قد مَرَّ معنا صفات كثيرة للمنافقين، بيَّنها القرآن الكريم، وها هي السنة تُبين لنا كثيرًا من علاماتهم ومُمارساتِهم وأخلاقهم وسلوكهم، فالكذب ديدنُهم والخيانة طبعهم، وخلف الوعد مسلكهم، فالمؤمن لا يكذب ولا يَخون ولا يتعمد خلف الوعد، وإنما يفعل ذلك من لا خلاقَ لَهم من أهل النفاق؛ لأن المراوغة والتلون واللعب عَلَى الحبال صنعتهم أينما كانوا وحيثما حلُّوا.

قَالَ النَّبِيّ ﷺ: **«ثلاث من كُنَّ فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وقال إني مسلم: من إِذَا حدث كذب، وإذا وعَدَ أخلف، وإذا اؤتُمن خان»**. متفق عليه من حديث أنس.

فهذا الحديث يدعو المسلم إلى الالتزام بأخلاق الإسلام من صدق في الحديث، وأداء للأمانة، ووفاء بالوعد، ويبين أنّ المسلم قد يصوم ويُصلي، ولكنَّهُ يكذب ويَخون ويُخلف الوعد، وهذه علامات، نفاق وإن زعمَ صاحبها الإسلام وتظاهرَ بالصلاة والقيام، فمن صَلَّى حقًّا لا يكذب ولا يَخون، ومن صامَ حقًّا لا يَخلف الوعد لأنَّ كل أولئك من قول الزور، الَّذِي نُهِيَ عنه الصائم كما جاء في الحديث:

«مَنْ لَمْ يَدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدعَ طعامه وشرابه»،

أخرجه البخاري، وأحمد، وأبو داود، والترمذي.

وما أقبح أن يُصلي المسلم وهو متلبس بصفات المنافقين من كذب وخيانة وخلف للوعد، فلو استشعر عظمة الله وهو يُناجيه في صلاته ما وقع فيما وقع فيه من خصال النفاق، الَّتِي ينبغي أن يتبرأ منها آحاد المسلمين فضلاً عن المسلم الصائم المصلي، ولا شك أن هذا نفاقٌ عملي أصغر لا يُخرج من الملة.

❊ النفاق الخالص وأماراته:

عن عَبْد الله بن عمرو بن العاص ﵄ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**أربعٌ من كُنّ فيه كَانَ مُنافقًا خالصًا، ومن كَانَ فيه خصلة منهنَّ كَانَ فيه خصلة من النفاق حَتَّى يَدعها: إِذَا اؤتُمنَ خان، وإذا حَدَّثَ كَذب، وإذا عاهد غَدر، وإذا خاصَم فَجر**». متفق عليه.

فهذا الحديث يُبين أربع خِصَال إِذَا ابتلي بِهَا الرجل استحكم النفاق في قلبه، فأصبح منافقًا خالصًا -أي: لا يشوبه إيمانٌ- وإِنّما قد خلص النفاق إلى قلبه فملأه، فلم يبق مكان لإيمان؛ لأن أعمال النفاق قد طغت عليه، واستولت عَلَى قلبه وجوارحه، فأصبح منافقًا خالصًا لا تشوبه شائبة، فهو إن اؤتُمنَ عَلَى مال أو نحوه أكله، وإن حَدَّثَ كذب، فلا يعرف الصدق طريقه إليه، وهو إن عاهدَ غدر وهذه طباعُ اللئام والوحوش الضواري، وهو إن خاصمَ فجرَ فلم يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمَّة، تَحمله الخصومة عَلَى الفحش والبذاءة وقول الزور والاستطالة في أعراض المسلمين، فرجل هذه أخلاقه وطباعه، كيف لا يكون منافقًا خالصًا؟

❊ الغزو والجهاد من أعظم الأعمال الَّتِي تطهر الإنسان من النفاق:

وذلك أنّ الْمُجاهد قد قدَّم روحه عَلَى كفه يبتغي بذلك وجه الله، وهذا

لا يقدم عليه المنافق ؛ لأنه يَخشى الموت ويُحب الحياة ، وليس عنده من رصيد الإيمان ما يَحمله عَلَى الجهاد ، ولذلك لَمَّا سُئِلَ النَّبيّ ﷺ ما بال الشهداء لا يُفتنون في قبورهم قَالَ:

«كفى ببارقة السُّيوف عَلَى رأسهم فتنة». أخرجه النسائي ، وَصَحَّحَهُ شيخنا العلامة الألباني في صحيح الجامع ، وأحكام الجنائز.

من أجل ذلك حَثَّ النَّبيّ ﷺ عَلَى الجهاد والغزو ، فعلى المسلم أن يَجعله شغله الشاغل وحديثه المتواصل حَتَّى يأذنَ الله له بالجهاد قَالَ النَّبيّ ﷺ: **«مَن مات ولَم يغز ولَم يُحدِّث نفسه بغزو مات عَلَى شعبة من نفاق»**. أخرجه أَحْمَد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، من حديث أبي هريرة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

شيوع النفاق بين القراء إلا من رحم الله

عن عقبة بن عامر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**أكثر منافقي أمتي قرَّاؤها**». أخرجه أَحْمَد، والطبراني، وغيرهما كما في صحيح الجامع (١٢٠٣).

قَالَ الإمام المناوي في فيض القدير: «**أكثر منافقي أمتي قرّاؤها**»، أي: الذين يتأوَّلونه عَلَى غير وجهه ويضعونه في غير مواضعه، أو يَحفظون القرآن تقية للتُّهمة عن أنفسهم، وهم معتقدونَ خلافه، فكان المنافقون في عصر النَّبيّ ﷺ بِهذه الصفة.

وقال الزمخشري: أراد بالنفاق الرياء؛ لأن كلاًّ منهما إرادة ما في الظاهر خلاف ما في الباطن. اهـ.

وقيل: أراد نفاق العمل لا الاعتقاد؛ ولأن المنافق أظهر الإيمان بالله وأضمرَ عصمة دمه وماله، والمرائي أظهرَ بعمله الآخرة وأضمرَ ثناء النَّاس وعرض الدُّنْيَا، والقارئ أظهر أنّه يريد الله وحده وأضمر حظ نفسه وهو الثواب، ويرى نفسه أهلاً له وينظر إلى عمله بعين الإجلال فأشبه المنافق، واستويا في مُخالفة الباطن والظاهر.

ولذلك **قَالَ الغزالي** -رَحِمَهُ اللهُ-: «احذر من خصال القراء الأربعة: الأمل، والعجلة، والكبر، والحسد» تراهُ يستعجل عَلَى الخير فيقطع عنه، وتراهُ يَحسد نظراءه عَلَى ما آتاهم الله من فضله، فربّما يبلغ مبلغًا يَحمله عَلَى فضائح وقبائح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر.

ولِهذا **قَالَ النووي**: ما أخافُ عَلَى ذمي إلا القراء والعلماء، فاستنكروا منه

ذلك، فقال: أنا ما قلته وإنّما قاله إبراهيم النخعي.

وقال عطاء: احذروا القراء واحذروني معهم، فلو خالفت أحدهم في رمَّانة أقول: إنّهاحلوة، ويقول: إنّها حامضة، ما أمنته أن يسعى بدمي إلى سلطان جائر.

وقال الفضيل لابنه: اشتروا دارًا بعيدة عن القراء ما لي والقوم؟!! إن ظهرت مني زلَّة قتلوني، وإن ظهرت عَلي حسنة حسدوني، ولذلك ترى الواحد منهم يتكبر عَلَى الناس ويستخف بِهم معبسًا وجهه كأنّما يَمن عَلَى النَّاس بِمَا يُصلي زيادة ركعتين، أو كأنّما جاءه من الله منشور بالجنة والبراءة من النار، أو كأنّه استيقنَ السعادة لنفسه، والشقاوة لسائر الناس، ثُمَّ مع ذلك يلبس لباس المتواضعين ويتماوت، وهذا لا يليقُ بالتكبر والترفع ولا يلائمه، بل ينافيه ولكن الأعمى لا يُبصر. اهـ كلام المناوي (٢/٨٠- ٨١) بشيء من التصرف.

قلتُ: وهذا الحديث علم من أعلام نبوته ﷺ، فقد رأينا هؤلاء القراء(١) الذين نص عليهم هذا الحديث، فقد ابتليت الأمة الإسلامية اليوم بقراء أتقنوا الألفاظ والحروف ولَم يُحسنوا العمل، بل فرّطوا في العمل وكثير منهم ابتلي بالبدع وسماع الغناء وشرب الدخان، وربما شرب الحشيش -والعياذ بالله-.

تاجروا بكتاب الله واشتروا بآياته ثمنًا قليلاً، يتأكلون بالقرآن في كل مناسبة، عند كل فرحة وعند كل دمعة، القرآن عندهم للتطريب والتلحين فحسب لا للتدبر والعمل، بل إن أحد هؤلاء قال متبجحًا ويا لسوء ما قال:

(١) انظر كتابي: «البحث والاستقراء في بدع القراء»، ويليه: «اتقوا الله أيُّها القراء» وهو رد على بعض مشاهير القراء في كلام نُسب إليهم يقف منه شعر ابن آدم.

«إنَّ أشرطتي في أمريكا تُباعُ عَلَى الوجه الأول صوتي وعلى الوجه الثاني صوت المطربة فلانة»، ويفخر بأنه يظهر في الأفلام ويسمع صوته وأنّه لقي تشجيعًا بذلك، وآخر يذهب إلى يَهود مباركًا الصلح معهم يقرأ عليهم: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

ولَمّا هلك عُثر عنده عَلَى كنز من ذهب، أولئك هُمْ الذين يقرءون القرآن لا يُجاوزُ حناجرهم، يفعلونَ كل ذلك ويَحسبونَ أنَّهم يُحسنونَ صُنْعًا، أمّا أولئك -وهم قلّة- الذين يقرءون القرآن ويتلونه حقَّ تلاوته يُحلُّون حلاله ويُحرِّمونَ حرامه، يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه، يُحيونَ به الليل ويعملون به في النهار، أخذوه بقوة فدرسوه وتعلّموه وعملوا به وبلغوه، أولئك هُمْ أهل الله وخاصته وأولئك هُمْ أهل القرآن حقًّا جعلنا الله منهم وحشرنا في زُمرتهم.

❊ حَتَّى الأرض تَأبَى أن تضم بعض موتى المنافقين:

عن ثابت عن أنس بن مالك، قَالَ: كَانَ منَّا رجلٌ من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب لرسول الله ﷺ فانطلقَ هاربًا حَتَّى لَحق بأهل الكتاب، قَالَ فرفعوه، قالوا: هذا قد كَانَ يكتب لـمحمد فأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته عَلَى وجهها، ثُمَّ عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته عَلَى وجهها، ثُمَّ عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته عَلَى وجهها فتركوه منبوذًا.

أخرجه مسلم (١٧- ١٢٧) نووي.

فنبذته الأرض: أي: طرحته عَلَى وجهها عبرة للنَّاظرين.

وعن جابر ﵁ أن رسول الله ﷺ قَدِمَ من سفر فلمّا كَانَ قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الرَّاكب فزعم -أي: جابر- أنّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**بعثت هذه الريح لِموت منافق، فلما قدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات**». أخرجه مسلم.

قَالَ النووي: «**بعثتُ هذه الريح لِموت منافق**»: أي عقوبة له وعلامة لِموته وراحة للبلاد والعباد منه.

قلتُ: -فانظر يا رحمكَ الله- كيف حَرَّك الله الرياح والعواصف لاجتثاث هذا المنافق، وهذا يدل عَلَى شؤم النفاق وخطورته حَتَّى أُمرت الريح والعواصف أن تَهب لأخذ المنافق ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾ [المدثر: ٣١].

وهذا الأمر ليس بغريب ولا عجيب، ألم يُخبر الرَّسول ﷺ بأن الحجر والشجر ينطقان في آخر الزمان يقولان: «**يا مسلم يا عَبْد الله هذا يَهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنّه من شجر اليهود**»، أخرجه مسلم، عن أبي هريرة ﵁.

فاللهم يا من أرسلت تلك الريح عَلَى هذا المنافق، أرسل ريحًا عقيمًا صرصرًا عَلَى منافقي زماننا تقطع دابرهم أو تلقي بهم في واد سحيق، فيكونون نَهبًا للطير والسباع، فلا أرض تبكيهم ولا سماء تندبهم أنت ولي ذلك والقادر عليه.

❁ الرسول ﷺ يُحذر من تَجمعات المنافقين:

لقد أودع الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان أسماء المنافقين، فكان ﵁ أمين سر الرَّسول ﷺ، والمنافقون الذين أخبر بهم رسول الله ﷺ أكثر من اثني عشر، ولكن يبدو أنّ هؤلاء الاثني عشر شرّهم أعظم وخطرهم أضر، وأنّهم لا يتوبون من نفاقهم ويَختم لَهم بسوء عاقبة، عن عمّار بن ياسر قَالَ: قَالَ

رسول الله ﷺ:

«إِنَّ فِي أُمَّتِي، -قَالَ شعبة: حدثني حذيفة، وقال غندر: أراهُ قَالَ في أمتي- اثنا عشر منافقًا لا يَدخلونَ الجنَّة ولا يَجدونَ ريحها حَتَّى يلجَ الجملُ في سَمِّ الخياط، ثَمانية منهم تكفيكهم الدبيلة -سراج من نار- يظهر في أكتافهم حَتَّى ينجم من صدورهم». أخرجه مسلم.

قَالَ النووي: الدبيلة: بدال مهملة ثُمَّ باء موحدة وقد فسرها في الحديث: بسراج من نار. ومعنى يَنجم: يظهر.

❊ جواز سب المُجادل عن المنافقين:

قَالَ رسول الله ﷺ -في مناسبة حادثة الإفك- وهو عَلَى المنبر: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمتُ في أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيرًا، وما كَانَ يدخل عَلَى أهلي إلا معي»، فقام سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كَانَ من الأوس ضربنا عنقه، وإن كَانَ من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: -أي: عائشة- فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالِحًا، ولكن اجتهلته الحميَّة، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر عَلَى قتله، فقام أُسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد ابن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنَّه فإنّك منافق تُجادلُ عن المنافقين، فثار الحيَّان الأوس والخزرج، حَتَّى هَمُّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائمٌ عَلَى المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يُخفضهم حَتَّى سكتوا. أخرجه مسلم (١٧/ ١١٠) نووي.

قَالَ النووي: فيه جواز سب المتعصب المبطل كما سبَّ أُسيد سعد بن عبادة لتعصبه للمنافق، وقال: "إنّك منافق تُجادل عن المنافقين" وأراد أنك تفعل فعل

المنافقين، ولَم يُرد النفاق الحقيقي. اهـ.

٭ عجز المنافقين عن السجود يوم القيامة لرب العالمين يوم يدعون إلى السجود فلا يستطيعون:

يسجد المؤمنون لربهم يوم القيامة ويبقى المنافقون فلا يستطيعون السجود، وهذا من أعظم الفتن والابتلاء للمنافقين، ليخزيهم الله عَلَى رءوس الأشهاد، ويظهر نفاقهم في الآخرة، حين تعود ظهورهم طبقًا واحدًا لا تنثني أبدًا وترهقهم ذلة لم يروا مثلها من قبل، وفي هذا يقول الله جلَّ ذكره: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

قَالَ الإمام ابن كثير في تفسيره لِهذه الآية (٤/٤٠٨): يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام... عن أبي سعيد الخدري قَالَ: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه[1] فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كَانَ يسجد في الدُّنْيَا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا**».

وهذا الحديث مُخَرَّج في الصحيحين، وفي غيرهما وله ألفاظ وهو حديثٌ طويل مشهور...

وقال -رَحِمَهُ الله- عِنْدَ قوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [المعارج: ٤٤]، أي: في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدُّنْيَا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولَمَّا دعوا إلى السجود في الدُّنْيَا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم،

(١) ينظر كتابي المفرد في هذا الموضوع بعنوان: «صفة السَّاق بين إثبات السلف وتعطيل الخلف» يسر الله طبعه.

كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرَّبُّ ﷻ فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يَسْجُد، بل يعود ظهر أحدهم طبقًا واحدًا، كلما أراد أحدهم أن يَسْجُد خر لقفاه، عكس السجود كما كانوا في الدُّنْيَا بخلاف ما عليه المؤمنون.

وفي رواية أبي هريرة عِنْدَ مسلم: «... **يَجْمَعُ الله الناس يوم القيامة فيقول: من كَانَ يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كَانَ يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كَانَ يعبد القمر القمر، ويتبع من كَانَ يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته الَّتِي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذُ بالله منك، هذا مكاننا حَتَّى يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم في صورته الَّتِي يعرفون، فيقول: أنا ربّكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنّم، فأكون أنا وأمتي أوّل من يُجيز، ولا يتكلّم يومئذ إلاَّ الرُّسل، ودعوى الرُّسل يومئذ: اللَّهُمَّ سَلِّم سَلِّم...**».

قلتُ: والحديث طويل اقتصرت فيه عَلَى الشاهد منه، وهذا الحديث والذي قبله في الصحيح من أحاديث الصفات، الَّتِي أمرنا أن نؤمن بِهَا عَلَى ظاهرها مثبتين ما أثبته الله لنفسه، نافين ما نفاه الله عن نفسه مفوضين صفة الكيفية لله رب العالمين، وهذا الَّذِي يليقُ بالله خالق السموات والأرضين، أمّا تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتَحريف الغالين فهذا مِمّا نَزّه أهل السنة والجماعة ربَّهم عنه، فصفاته -جل ذكره- لا تُشبه صفات أحد من المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. أمّا تفويض المعنى وتأويل الصِّفة عَلَى نَحو تعطيلها وعدم إثباتها فهذه طريقة أهل الأهواء والبدع الضالين المتهوكين، فما يُقال في ذاته يُقالُ في صفاته فذاته لا تشبه الذوات، وكذا صفاته

لا تُشبه صفات خلقه، فخذ هذا أيُّها القارئ الكريم، وعَضَّ عليه بالنَّواجذ تسلم وتَغْنم.

❊ **إطفاء نور المنافقين يوم القيامة عَلَى جسر جهنم والتماسهم النُّور فلا يَجدونه:**

قَالَ الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٢- ١٥].

قلت: وقد اختلف المفسرون في المراد بالنُّور الذي من بين أيديهم وبأيمانهم، فقال قوم: هو هدايتهم، والذي بأيمانهم كتبهم، وهذا الذي رَجَّحه الطبري وحُجَّته أنَّ «النور» الذي بمعنى الضياء لا يُخص بكونه أمامهم وعن أيمانهم دون شمائلهم؛ لأن الضياء الذي يؤتاه المؤمنون في الآخرة يُضيء جميع ما حولَهم، ولكن الذي عليه جُمهور المفسرين أنّه نور حقيقي يُضيء للمؤمنين يوم القيامة عَلَى قدر إيمانهم وأعمالهم، ويؤيده ما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر بن عَبْد الله قَالَ: «نَجيء نَحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أيّ ذلك فوق النَّاس؟ قَالَ: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تَعبد الأول فالأول.. ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورًا، ثُمَّ يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ثُمَّ يطفأ نور المنافقين، ثُمَّ ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يُحاسبون ثم الذين

يلونهم كأضوأ نجم في السماء...».

ونَحو قول أبي أُمامة ﷺ: «أيُّها النَّاس إنّكم قد أصبحتم وأمسيتم في منْزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منْزِل آخر، وهو هذا -يشير إلى القبر-، بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق، إلاَّ ما وسَّع الله، ثُمَّ ينتقلون منه إلى موطن يوم القيامة فإنّكم في بعض تلك المواطن، حَتَّى يغشى النّاس ظلمة شديدة ثُمَّ يقسم النُّور فيعطى المؤمن نورًا، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا، وهو المثل الَّذِي ضربه الله تعالى في كتابه: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣].

وهي خدعة الله الَّتِي خدعَ بِهَا المنافقين حيث قَالَ: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فيرجعون إلى المكان الَّذِي قُسِم فيه النور فلا يَجدون شيئًا، فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرَّحمة وظاهره من قبله العذاب.

يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغترًّا حَتَّى يقسم النُّور ويميز الله بين المنافق والمؤمن.

انظر تفسير ابن كثير (٤/٣٢٩)، وحسَّن إسناده الدكتور عَبْد العزيز الحميدي في كتابه: "المنافقون في القرآن الكريم" وهو كتاب حافل ماتع جزى الله

مؤلفه خيرًا.

قَالَ الإمام ابن القيم في "مدارج السالكين" (٣٥٧/١) في صفات المنافقين:

«أم كيف بهم إِذَا حشروا -أي: المنافقين- إلى جسر جهنّم، وهو أدق من الشعرة وأَحَدُّ من الحسام، وهو دحض مزلّة، مظلم لا يقطعه أحد إلا بنور يبصر به مواطئ الأقدام، فقسمت بين الناس الأنوار، وهم عَلَى قدر تفاوتها في المرور والذهاب، وأعطوا نورًا ظاهرًا مع أهل الإسلام كما كانوا بينهم في هذه الدار يأتونَ بالصلاة والزكاة والحج والصيام، فلمّا توسَّطوا الجسر عصفت عَلَى أنوارهم أهوية النِّفَاق، فأطفأت ما بأيديهم من المصابيح فوقفوا حيارى، لا يستطيعون المرور، فضرب بينهم وبين أهل الإيمان بسور له باب، ولكن قد حيلَ بين القوم وبين المفاتيح، باطنه -الَّذِي يلي المؤمنين- فيه الرحمة، وما يليهم من قبلهم العذاب والنقمة، ينادون من تقدمهم من وفد الإيمان ومشاعل الركب تلوح عَلَى بعد كالنجوم تبدو لناظر الإنسان: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ لنتمكن في هذا المضيق من العبور، فقد طفئت أنوارنا ولا جواز اليوم إلا بمصباح من النور ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ حيث قسمت الأنوار، فهيهات الوقوف لأحد في هذا المضمار، كيف نلتمس الوقوف في هذا المضيق؟ فهل يلوي اليوم أحد عَلَى أحد في هذا الطريق؟ وهل يلتفت اليوم رفيق إلى رفيق، فذكروهم باجتماعهم معهم وصحبتهم في هذه الدار.. ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾... فما الَّذِي فَرَّقَ بَيْننا اليوم حَتَّى انفردتم دوننا بالمرور؟ ﴿قَالُوا بَلَى﴾ ولكنكم كانت ظواهركم معنا، وبواطنكم مع كل ملحد وكل ظلوم كفور.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

ارتجاف المدينة النبوية لطـرد المنافقين منهـا

وذلك في آخر الزَّمان عندما يَخرج الدجال، فيعسكر بِجنوده خارج نقب المدينة في «السبخة» وذلك لأن الله حَرَّمَ عليه مكة والمدينة، عَلَى كل نقب من أنقابها ملائكة يشهرون سيوفهم في وجهه يَمنعونه من دخولِهما، ويبقى أتباعه المنافقون في داخلها مِمّن أوى إليها وَلم يكن أهلاً لَهَا، فترتَجف ثلاثًا وتنفي خبثها منهم؛ ليلحقوا بالدجال الأكبر شيخهم وإمامهم وبهذا المعنى يقول النَّبيّ ﷺ في الحديث الَّذِي يرويه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك: **«ليس بلد إلا سيطؤه الدجّال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تَحرسها فينْزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يَخرج إليه منها كل كافر ومنافق»**.

وفي رواية: **«فيخرج إليه كل منافق ومنافقة»**.

قلتُ: وهذه سُنَّة الله في خلقه أنَّ الزلازل والنكبات والابتلاءات هي التي تظهر الغث من السمين، والزَّبد مِمّا ينفعُ الناس، والخالص من البهرج، والسراب من الماء، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بيِّنة، فلا يبقى بين ظهراني المؤمنين أحد من المنافقين يعمل بينهم عمل النار في الهشيم، وعمل الأرضة في الحطب فيحصل العطب الَّذِي ليس بعده عطب، من أجل ذلك يطهر الله بلدتيه من النفاق لتخلص لأهل الإيمان الذين أووا إليها مصداقًا لقوله ﷺ: **«إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز إلى المسجدين كما تأرز**

الحيَّة في جحرها». أخرجه مسلم، ومعنى يأرز: أي: ينضم ويَجتمع.

※ فتنة المنافق في قبره:

لَمّا كَانَ المنافق أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان أسلم بلسانه وبظاهر عمله ولم يدخل الإيمان في قلبه، حشر نفسه مع المسلمين، وهو ليس منهم، بل عليهم، كَانَ لابد من الامتحان العصيب في أوَّل منازل الآخرة بسؤال الملكين "منكر ونكير" ثلاثة أسئلة تُحدد بها هوية المسئول وانتماؤه، وهو امتحان يُجيب فيه الواقع والحال الَّذِي مات عليه الرجل، فلا مَجالَ لتزوير الإجابات أو تلقي الإعانات أو الغش أو التغشيش، فما وقر في القلب وصدقه العمل نطق به اللسان، وحينئذ لا يَخون اللسان الأمانة تبعًا لهوى صاحبه.

عندما يحاول اللسان أن يُخفي الحقيقة -يوم القيامة- يأمر الله الجلود أن تتكلم وتشهد عليهم بشهادة حق وفي هذا يقول الحق ﷻ: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] فلا مَجال إذن للإنكار وإخفاء الواقع الكفري الَّذِي هُمْ عليه، ولذلك جاء الحديث يُبين نتيجة امتحان المنافقين سلفًا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّه حدَّثهم أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ العبد إِذَا وضعَ في قبره وتولَّى عنه أصحابه، وإِنَّه ليسمع قرع نعالِهم، أتاهُ ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل الَّذِي بُعث فيكم فأمَّا المؤمن، فيقول: أشهدُ أَنَّهُ عَبْد الله ورسوله، فيُقال له: انظر إلى مقعدك من النَّار قد أبدلكَ الله به مقعدًا من الجنَّة فيراهما جَميعًا».

قَالَ قتادة: وذكر لنا أَنَّهُ يُفسحُ له في قبره، ثُمَّ رجع إلى حديث أنس:

«وأمَّا المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري».

أخرجه "البخاري - فتح".

قلتُ: منهج أهل السنة والجماعة الإجماع على إثبات عذاب القبر بالكتاب والسنة، ولم يُخالف في ذلك إلا من سَفِهَ نفسه من فرق الضلال، نعوذ بالله من الخذلان.

※ النهي عن وصف المنافق بأوصاف التَّعظيم كـ "سيدنا ونحوه":

وذلك أنَّ حقَّ المنافق التأخير لا التقديم، والتحقير لا التعظيم، والْهَجر لا التقريب، والتقريع لا التبجيل، لأَنَّهُ عدوٌّ لله ورسوله وعدو للمؤمنين، وهذا اللائق بمعاملة أعداء الله والرَّسول، فمتى وُسِّد الأمر إلى المنافقين أصابَ الدين غربة وثُلمة عظيمة، بل عَلَى الدين والدنيا السلام، وإن تمكين المنافقين من تقلُّد أمور المسلمين من أسباب سَخط الله تعالى وعلامة من علامات الهلاك، قَالَ ﷺ:

«لا تقولوا للمنافق سيدنا؛ فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم». أخرجه أَحْمَد، وأبو داود، والنسائي كما في "صحيح الجامع" (٧٤٠٥).

فإذا كَانَ المؤمن يكره أن يُنادَى بـ (سيدنا) فكيف يَحل مناداة المنافق بألفاظ التعظيم عَلَى اختلاف صورها، فإذا كَانَ من وقر صاحب بدعة فقد أعانَ عَلَى هَدم الإسلام -كما جاء في الأثر- فكيف بمن وقر المنافق؟!

ومِمَّا يؤسف له حقًّا ويندى له الجبين: أن يفرض كثير من المنافقين عَلَى المسلمين فرضًا فلا يَجدونَ مناصًا من تعظيمهم بل إطاعتهم في غير معروف، أخرج الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٨٢) عن الحسن قَالَ: **«لا تقوم الساعة حَتَّى يسود كل قوم منافقوها»**. فإلى الله المشتكى من قبل ومن بعد.

❊ مناصبة أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه العداء نفاق:

عن زر بن حُبيش قَالَ: قَالَ علي: «والذي فلق الْحبَّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النَّبيّ ﷺ إليّ أن لا يُحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»، أخرجه مسلم.

فالخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه له منزلة رفيعة من رسول الله ﷺ فهو ختنه -زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها- وابن عمه، وأول من أسلم من الصبيان، فلم يعص ربه قط قبل إسلامه، وهو الَّذِي فتح الله عَلَى يده يوم خيبر، وثبتت محبة الله له، وذلك بقول النَّبيّ ﷺ: **«لأُعطينَّ الرَّاية غدًا رَجُلاً يُحبُّ الله ورسوله ويُحبه الله ورسوله، يَفتح الله عَلَى يديه»**.

فباتَ الناس يدوكون ليلتهم أيُّهم يُعطاها قَالَ: فلمّا أصبحَ الناسُ غدوا عَلَى رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها.

قَالَ: «أين عَلي بن أبي طالب؟».

فقالوا: هو يا رسول الله يَشْتَكي عينيه.

قَالَ: «فأرسلوا إليه».

فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حَتَّى كأن لم يكن به وجع، فأعطاهُ الرَّاية... **وقال له:**

«انفذ عَلَى رسلك حَتَّى تنزل بساحتهم ثُمَّ ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بِما يَجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يَهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمر النعم». أخرجه مسلم في صحيحه.

وهو الذي قَالَ له الرسول ﷺ عندما خلفه عَلَى المدينة في غزوة تبوك: **«أمَا ترضى أن تكون مني بِمنْزلة هارون من موسى، غير أنّه لا نَبِيَّ بعدي»**.

وكان ذلك جوابًا عَلَى قول عَلي: يا رسول الله، تُخَلِّفني عَلَى النساء والصبيان؟! وهو خليفة راشد من الخلفاء الراشدين الأربعة الذين أُمِرنا باتباع سنتهم والاهتداء بهديهم: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ وعن أصحاب رسول الله أجمعين.

وفضائله ﷺ كثيرة تَحتاج إلى مُجَلد ضخم، وكذا سائر أصحاب رسول الله ﷺ فمن انتقصَ واحدًا منهم فقد شاقق الله ورسوله وطعنَ في الوحي فقد سَجَّل الله رضاه عنهم، وقد مَرَّ معنا في قوله ﷺ: **«لا يُحب الأنصار إلا مؤمن ولا يُبغضهم إلا منافق، من أحبَّهم أحبَّهُ الله ومن أبغضهم أبغضه الله»**. متفق عليه، من حديث البراء بن عازب ﷺ.

فأهل السنة والجماعة يتولون سائر أصحاب رسول الله ﷺ ويتبرءون مِمّن عاداهم، ويعظمون آل بيت رسول الله ﷺ، ويعادونَ من عاداهم، فهم وسط بين الإفراط والتفريط، وهذا الَّذِي يَجب لآل رسول الله ولصحابته الميامين فإنّهم عَلَى الخير كانوا وعلى الصراط المستقيم مضوا، حَتَّى لقوا ربهم عَلَى ذلك كما شهد لَهُمْ الله ورسوله، فطوبى لمن اختارهم الله لصحبة نبيِّه ولنشر دينه وإعلاء كلمته.

❊ خصلتان لا تَجتمعان في المنافقين:

عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: **«خصلتان لا يَجتمعان في منافق:**

١- حسن سمت.

٢- فقه فِي الدين»، أخرجه الترمذي، وانظر: "صحيح الجامع" (٣٢٢٩).

فالمنافق: سَيِّئ القصد جاهل في الدين، والفقه في الدين وحسن النية والقصد لا يَجتمعان في منافق، وكم من منافق عليم اللسان سخَّر علمه وقلمه

ولسانه -لسوء قصده وخبث طويته- لِمحاربة دين الله وتَحليل ما حَرّم الله وتَحريم ما أحلَّ الله؛ لذلك قَالَ ﷺ: «**أخوفُ ما أخاف عليكم منافق عليم اللسان**»، "صحيح الجامع" (٢٣٩)، فهو حسن البيان، عباراته مزخرفة مزركشة، لكنَّها تُخفي وراءها الشر كله، بل هي السم الزُّعاف، أولئك أحبار السوء دعاة جهنم.

❊ نساء منافقات:

١- **المتبرجات**: والتَّبرُّج هو إظهار العورة والزينة أمام الرجال الأجانب حَتَّى يطمعوا فيها -أي: المتبرجة- ويفتنوا بِهَا، والعالَم -وللأسف- يشهد حقبة من الزمن ظهر فيها التبرج في أسوأ وأقبح صوره، حَتَّى غدت المرأة سلعة يتاجر بلحمها وجسدها، بل إنّ جسد المرأة ولَحمها أرخص شيء يُعرض في الأسواق اليوم، فالمرأة الَّتِي لا تستر عورتها وما استأمنها الله عليه خائنة لله ورسوله، ساعية في إرضاء الشيطان وحزبه، أعمالها أعمال الكافرات، ولباسها لباس الفاجرات، وهي تزعم أَنَّها من المؤمنات العفيفات، قَالَ تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقد حَذَّرَ النَّبِيّ ﷺ من التبرج وصَرَّحَ بأَنَّه ضرب من النفاق قَالَ ﷺ: «**المتبرجات هُنَّ المنافقات**». انظر: «حجاب المرأة المسلمة» لشيخنا العلامة ناصر السنة والدين الألباني -عليه رحمة الله-.

٢- **المختلعات**: لما رَوَاهُ أَحْمَد، والنسائي، والترمذي من حديث أبي هريرة، وثوبان رضي الله عنهما قَالَ رسول الله ﷺ: «**المختلعات هن المنافقات**».

والخلع كما عرفه العلماء: مأخوذٌ من خلع الثَّوب إِذَا أزاله؛ لأن المرأة لباس

الرجل والرجل لباس لَهَا، قَالَ الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وهو إزالة ملك النكاح مقابل مال، فالعوض جزء أساسي من مفهوم الخلع، فإذا لم يتحقق العوض لا يتحقق الخلع، والخلع منه ما يَجوز ومنه ما لا يَجوز، والذي يَجوز منه إذَا كَانَ هناك سبب يقتضيه، كأن يكون الرجل معيبًا في خُلقه أو خَلْقِهِ أو يؤذي الزَّوْجَة، وأن تَخاف المرأة ألا تقيم حدود الله، فيما يَجب عليها من حسن الصحبة وجَميل المعاشرة كما هو ظاهر الآية.

والخلع الممنوع: هو الَّذِي ليس له ثَمَّة سبب شرعي يقتضيه، وهذا الَّذِي جاء الوعيد فيه، ووصف من طلبته من زوجها بالنفاق -أي: من أعمال النِّفَاق- لأنه تنكر للمعروف والعشرة والوفاء بالعهد بين الزوجة وزوجها، وتفاصيل ذلك في مظانه من كتب الفقه.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

أمثال المنافقين في الكتاب والسنة

أ- في القرآن:

١- قَالَ تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

أخرج ابن جرير الطبري من طريق ابن إسحاق، عن ابن عبَّاس رضي الله عنه قَالَ: ضرب الله للمنافقين مثلاً فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...﴾ أي: يبصرون الحق ويقولون به، حَتَّى إِذَا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفأوه بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم في ظلمات الكفر، فهم لا يبصرون هدًى، ولا يستقيمون عَلَى حقٍّ.

قَالَ الدكتور عَبْد العزيز الحميدي في كتابه: "المنافقون في القرآن" (ص٤٣) وهو ضعيف وعزاه لـ «جامع البيان» (١/١٤٢)، ثُمَّ ساق رواية أخرى عِنْدَ ابن جرير، عن ابن عباس: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ إلى آخر الآية، هذا مثل ضربه الله للمنافقين أَنَّهم كانوا يعتزون بالإسلام -أي: يكتسبون لأنفسهم عزة بسبب تظاهرهم بالإسلام- فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلمّا ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلبَ صاحب النار ضوءه ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يقول: في عذاب، أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/١٤٢).

قَالَ الحميدي -بعد أن حكم عَلَى هذا السند بالضعف أيضًا-:

والقولُ الثاني: يعني: «قول ابن عباس من طريق عَلي بن أبي طلحة» أرجح؛ لأن مقتضى القول الأول أن المنافقين آمنوا بالإسلام حقًّا ثُمَّ كفروا،

وهذا لا ينطبق عَلَى جَميع المنافقين إذ إنَّ أغلبهم دخلوا في الإسلام نفاقًا، فيكون معنى الآية عَلَى القول الثاني: صفة هؤلاء المنافقين.

العجيبة في استفادتهم من التظاهر بالإسلام في حال الحياة الدُّنْيَا؛ حيث عاشوا تَحت ظلاله في أمن، ونالوا من خير الحساب والعذاب وهم قد تعرُّوا عن سربال الإيمان، الَّذِي طالما لَجأوا إليه في الحياة الدُّنْيَا، كمثل قوم أوقدوا لَهُمْ نارًا يستضيئون بِهَا، فلمّا أضاءت ما حولَهم من الظلمات واستضاءوا بِهَا بعض الوقت نزع الله نورهم فأصبحوا في الظلمات يتخبطون ولا يُبصرون الطريق إلى النجاة من هذه الظلمات.

٢- قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة: ١٩- ٢٠].

قَالَ الدكتور الحميدي -حفظه الله- (ص٤٤): ثُمَّ ضربَ الله سبحانه مثلاً لفريق آخر من المنافقين لم يصرُّوا عَلَى الكفر طوال حياتهم بل يؤمنون في وقت الرخاء أحيانًا، فإذا أحدقت بهم الشدائد أو عرضت لَهُمْ الشبهات كفروا ونافقوا، ثُمَّ ذكر الآية المتقدمة آنفًا، ثُمَّ قَالَ: ومِمّا يدل عَلَى أن المراد بِمن ضرب لَهُمْ المثل في هذه الآية فريق آخر من المنافقين يطمئنون إلى الإيمان في وقت الرخاء ويكفرون به في وقت الشدة، ما أخرجه ابن جرير، عن ابن عباس ثُمَّ ذكره كما تقدم.

٣- وقَالَ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

ب- أمثالهم فِي السنة:

١ - مثالُهم كمثل شجرة الأرز:

عن أبي هريرة ﷺ، قَالَ رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تُميله ولا يزال المؤمن يصيبه، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تَهتز حَتَّى تستحصد»**. مسلم (١٧/ ١٥٣) نووي.

ومعنى الحديث كما قَالَ النووي -رَحِمَهُ الله-: "أن المؤمن كثير الآلام في بدنه أو أهله أو ماله، وذلك مكفر لسيئاته ورافع لدرجاته، وأمّا الكافر فقليلها وإن وقع به شيء لم يُكَفِّر شيئًا من سيئاته، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة". اهـ.

٢- تردد المنافقين وتذبذبهم:

عن ابن عمر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **«مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرَّة وإلى هذه مرَّة، لا تدري أيُّها تتبع»**.

أخرجه أَحْمَد، ومسلم، والنسائي.

قَالَ ابن الأثير في "النهاية" (٣/ ٣٢٨) بعد أن أورد حديث ابن عمر المتقدم آنفًا: أي: المترددة بين قطيعين لا تدري أيهما تتبع... ومنه سهم عائر: هو الَّذِي لا يُدرى من رماه، ومنه العائرة: الساقطة لا يُعرف لَهَا مالك، ومنه: عار الفرس يعير إِذَا انطلقَ من مربطه مارًّا عَلَى وجهه.

قلت: وقد حكى الله حال المنافقين واضطرابهم وعدم ثباتهم عَلَى حال واستمرارهم عَلَى قرار فقال: **﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ﴾** [النساء: ١٤٣]، وقال: **﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾** [البقرة: ١٤] فهم كالحرباء المتلونة، ولا يعرف لَهَا لون.

٣- مثالهم كمثل الحنظلة:

والنبي ﷺ شبه المنافق حين يقرأ القرآن بالرَّيْحانة، والذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة، فهو حين يقرأ القرآن لا ينتفع به، وقد ينتفع به الآخرون من المستمعين كما تفيح رائحة الطيب من الريحان، لكن في ذاته لا ينتفع به كونه مُرًّا، والحنظل يضرب به المثل في المرارة، ولذلك شبه المنافق به؛ لأنَّه لا يطاق المعاشرة، وبذلك جاء الحديث بهذا التمثيل البليغ، فعن أبي موسى الأشعري، قَالَ رسول الله ﷺ:

«مثل المؤمن الَّذِي يقرأ القرآن مثل الأترجَّة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الَّذِي لا يقرأ القرآن مثل التَّمرة لا ريح لَهَا وطعمها حلو، ومثل المنافق الَّذِي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الَّذِي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لَهَا ريح وطعمها مر»[١].

* * * * *

(١) أخرجه الفريابي في «صفة المنافق»، وصحح إسناده أخونا الشيخ بدر البدر، وتمام تخريجه في الكتاب المذكور آنفًا.

قد يكون الرجل لسنًا وقلبه مليء بالنفاق
﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان**»(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أخوفُ ما أخافُ عَلَى أمتي كل منافق عليم اللسان**»(٢).

قَالَ المناوي -رَحِمَهُ الله- في "فيض القدير" (١/٢٢١- ٢٢٢): "كل منافق عليم اللسان، أي: عالم للعلم منطلق اللسان به لكنه جاهل القلب والعمل، فاسد العقيدة، يَغُرُّ الناس بشقشقة لسانه، فيقع بسبب اتِّبَاعه خلق كثير في الزلل، وقد كَانَ بعض العارفين لا يظهر لتلميذه إلا عَلَى أشرف أحواله خوفًا أن يقتدي به فيها، أو يسوء ظنُّه به فيها، فلا ينتفع به، قَالَ الحراني: والخوف حذر النفس من أمور ظاهرة النفرة.

قَالَ صاحب الهداية:

فساد كبير عالم متهتِّك ... وأكبر منه جاهل يتنسَّك
هما فتنة للعالمين عظيمة ... لمن بهما في دينه يتمسَّك

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: «يَهدم الإسلام ثلاثة: زَلَّةُ عالم،

(١) أخرجه الطبراني في "الكبير" (١٨/٢٢٧)، والبيهقي في "الشعب" (٢/١٦١/١)، وابن حبان (٩١- موارد) كما في تحقيق صفة المنافق.
(٢) انظر الحاشية السابقة.

وجدال المنافق بالقرآن، وأئمة مضلّون»[١].

قَالَ العلامة المباركفوري: يَهدم الإسلام، أي: يزيل عزَّته "زلة عالم" أي: عثرته بتقصير منه، "وجدال المنافق" الَّذِي يظهر السنة ويُبطن البدعة "بالقرآن" وإنّما خصَّ لأن الجدال به أقبح وهو يؤدي إلى الكفر، وذلك لإفساده الدين "وحكم الأئمة المضلين" أي: عَلَى وفق أهوائهم وإكراههم الناس عليه، فالعلماء الزائغون عن الحق، والمنافقون المجادلون المبتدعون، وأمراء الجور هُمْ الَّذِي يضعفون أركان الإسلام ويعطلونها بإسلامهم.

قَالَ الطيبي: المرادُ بهدم الإسلام تعطيل أركانه الخمسة من قوله ﷺ: «بُنِيَ الإسلام عَلَى خَمس.....» الحديث.

وتعطيله إنّما يَحصل من زلّة العالم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باتباع الهوى، ومن جدال المبتدعة وغلوهم في إقامة البدع بالتمسك بتأويلاتهم الزائفة، ومن ظهور ظلم الأئمة المضلين، وإنّما قُدِّمت زلة العالم؛ لأنّها هي السبب في الخصلتين الأخيرتين[٢].

قلتُ: وما أكثر هؤلاء اليوم!! أحسنوا زخرفة الألفاظ وأساءوا العمل، يتخللونَ في كلامهم تخلل البقرة بلسانها فيتشدقونَ ويتفيهقون، تسلقوا منابر شتى، وأعملوا مِعوَل الهدم في دين الأمة تارة باسم العقل، وتارة باسم الاعتدال، وتارة باسم نبذ التطرف، وتارة باسم متطلبات العصر، تسمعُ لَهُمْ نبيبًا كنبيب التِّيوس من الزَّريبة، فالله المستعان عليهم.

---

(١) أخرجه الفريابي في "صفة المنافق"، وقال محققه بدر البدر: إسناده صحيح، وعزاه للهروي في ذم الكلام (ق: ١/١٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/١١٠)، وأبي نعيم في الحلية (٤/١٩٦)، والدارمي (١/٧١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/٢٣٤).

(٢) مرقاة المفاتيح (١/٣٥٦).

كلام السلف في وصف المنافقين

* أخرج الفريابي في "صفة المنافق" (ص٦١):

عن الحسن قَالَ: "كَانَ يقال: النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج".

وكان يُقال: "أُسُّ النِّفَاق الَّذِي بُني عليه النفاق: الكذب"(١).

* وأخرج أيضًا في الصفحة نفسها عن الحسن قوله: "إنّما الناس بين ثلاثة نفر: مؤمن، ومنافق، وكافر، فأمّا المؤمن فعامل بطاعة الله ﷻ، وأمّا الكافر فقد أذلّه الله تعالى كما رأيتم، وأمّا المنافق فهاهنا وهاهنا في الْحُجَر والبيوت والطرق، نعوذُ بالله، والله ما عرفوا ربهم بل عرفوا إنكارهم لربِّهم بأعمالهم الخبيثة، ظهر الجفا وقلّ العلم، وتركت السنة. إنّا لله وإنّا إليه راجعون، حيارى سُكارى ليسوا بيَهود ولا نصارى، ولا مَجوس فيعذروا".

وقال: إنّ المنافق لم يأخذ دينه عن الناس، ولكن أتاهُ من قبل الله ﷻ فأخذه، وإن المنافق أعطى الناس لسانه، ومنع الله قلبه وعمله. فحدثان أُحدثا في الإسلام: رجلٌ ذو رأي سوء زعمَ أن الجنَّة لِمن رأى مثل رأيه فسلَّ سيفه، وسفكَ دماء المسلمين واستحلَّ حرمتهم.

ومترف يَعبد الدُّنْيَا، لَهَا يغضب وعليها يُقاتل، ولَها يطلب، قَالَ: يا سبحان الله!! ما لقيت هذه الأمة من منافق قهرها واستأثر عليها، ومارق مرق من الدين فخرج عليه. صنفان خبيثان قد غمَّا كل مسلم.

---

(١) صحح إسناده محقق الكتاب الأخ: بدر البدر -أثابه الله-.

يا بن آدم دينَكَ دينَكَ، فإنّما هو لَحمك ودمك، فإن تسلم بِهَا، فيا لَها من راحة، ويا لَها من نعمة، وإن تكن الأخرى فُنعوذُ بالله، فإنّما هي نار لا تُطفأ، وحجر لا يبرد، ونفسٌ لا تَموت"[١].

❊ وعن وهب بن منبه قَالَ: "صفة المنافق: تَحيَّته لعنة، وطعامه سحت، وغنيمته غلول، صخب بالنهار، خشب بالليل"[٢].

❊ وعن أبي الشعثاء قَالَ: "دخل نفرٌ عَلَى عَبْد الله بن عُمر من أهل العراق فوقعوا في يزيد بن معاوية، فتناولوه، فقال لَهُمْ عَبْد الله: هذا قولكم لَهُمْ عندي، أتقولونَ هذا في وجوههم؟ قالوا: لا، بل نَمدحهم ونُثني عليهم. فقال ابن عمر: هذا النفاقُ عندنا"[٣].

❊ وعن إبراهيم بن نشيط قَالَ: "سمعت عمر مولى غفرة يقول: أبعد الناس من النفاق، وأشدهم خوفًا عَلَى نفسه منه، الَّذِي لا يرى أنه ينجيه منه شيء، وأقرب الناس منه: الَّذِي إِذَا زُكِّي بِما ليس فيه ارتاحَ قلبه وقَبِلَه".

وقال: "إِذَا زكيت بما ليس فيك، فقل: اللَّهُمَّ اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، فإنّك تعلم وهم لا يعلمون"[٤].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) صحح إسناده محقق الكتاب الأخ: بدر البدر -أثابه الله-.

(٢) رجال إسناده ثقات.

(٣) إسناده صحيح، وعزاه المحقق لأحمد (٢/١٠٥)، وابن ماجه (٣٩٧٥)، والنسائي. وعزاه ابن حجر في الفتح (١٣/١٧٠) إلى ابن أبي شيبة.

(٤) صفة المنافق (ص٧٥) وصحح إسناده مُحقق الكتاب الأخ بدر البدر -حفظه الله-.

كثرة النفاق في آخر الزمان

❊ عن جبير بن نُفير قَالَ: "دخلتُ عَلَى أبي الدرداء منزله بِحمص، فإذا هو قائمٌ يُصلي في مسجده، فلمّا جلس يتشهد جعل يتعوذ بالله من النفاق، فلمّا انصرف قلت له: غفر الله لك يا أبا الدرداء، ما أنت والنفاق؟! ما شأنك وما شأن النفاق؟!

فقال: اللّٰهُمَّ غُفرًا -ثلاثًا- لا يأمنُ البلاء من يأمن البلاء، والله إنّ الرجل ليفتن في ساعة واحدة فينقلبُ عن دينه"(١).

❊ وعن عَبْد الله بن عمرو قَالَ: ليأتين عَلَى الناس زمان يَجتمعونَ في مساجدهم ليس فيهم مؤمن"(٢).

❊ وعن الحسن قَالَ: "لا تقومُ الساعة حَتَّى يسود كل قوم منافقوها"(٣).

قلتُ: رحم الله الإمام الحسن البصري فكأنه يعيش زماننا هذا الذي ساد فيه المنافقون، وتكلم فيه الرويبضة، واؤتُمن الخائن وخُوِّنَ الأمين، وطُلبت الدُّنيَا بالآخرة، وأصبح الإجلال والتوقير للسفهاء ومن يُسمون بـ "أهل الفن" ولم ينل أهل العلم والتقى والخير حظًّا من التوقير والإجلال.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه الفريابي في "صفة المنافق" (ص٦٩)، وابن عساكر (١٣/٣٨٨/٢) وصحح إسناده أخونا الشيخ بدر البدر -وفقه الله-.

(٢) أخرجه الفريابي في "صفة المنافق" (ص٨٠) وإسناده صحيح كما ذكر محقق الكتاب.

(٣) إسناده حسن، انظر: "صفة المنافق" للفريابي: بتحقيق الأخ بدر البدر.

منافقو اليوم شر من منافقي الأمس

عن حذيفة ﷺ قَالَ: "المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا عَلَى عهد رسول الله ﷺ، قَالَ: فقلنا: يا أبا عَبْد الله، وكيف ذاك؟

قَالَ: "إن أولئك كانوا يُسرون نفاقهم وإن هؤلاء يُعلنون"[(١)].

وعنه أيضًا قَالَ: "إن المنافقين اليوم شر منهم عَلَى عهد رسول الله ﷺ فأمّا اليوم فإنّما هو الكفر بعد الإيمان"[(٢)].

قلتُ: هذا كلامُ خبيرٍ عالم بأحوال المنافقين، كيف لا وهو أمين سر رسول الله ﷺ وعنده أودع رسول الله ﷺ أسماء المنافقين، إذ كَانَ منم أدركهم من المنافقين بعد الرسول ﷺ شرًّا مِمن أخبره بهم الرسول ﷺ، فماذا يقول ﷺ لو أدرك منافقي زماننا، فإذا كَانَ النفاق سرى في الناس زمن أصحاب الرسول ﷺ أفلا يستفحل خطره ويستشري ضرره زمن الطواغيت، وغربة الدين؟! وكلما ازدادت غربة الدين وقلَّ أنصاره كثر النفاق -والعياذُ بالله- ولكن النفاق اليوم اتخذ أشكالاً منظمة، عَلَى شكل مؤسسات ونوادٍ غيرت من أسمائها؛ لتضليل الناس، وما الروتاري والليونز والمؤسسات الَّتِي تدعي الإنسانية والرحمة عَلَى الإنسان والحيوان إلا امتداد لسرطان النفاق الَّذِي تدعمه دول عظمى بأسماء ما أنزل الله بِهَا من سلطان، وإنما هي مؤسسات يهودية تريد سلخ الأمة من دينها وهُويتها، لتعمل عَلَى خدمة يهود والتمكين لَهُمْ، فاللهم سَلِّم سَلِّم.

---

(١) إسناده صحيح، انظر: "صفة المنافق" (ص٦٢) بتحقيق الأخ بدر البدر.

(٢) أخرجه البخاري.

كيف نتقي النفاق

وأخيرًا: كيف نتقي النفاق؟

لقد كَانَ أصحاب رسول الله ﷺ مع شدة إيمانهم وعظيم فقههم وعلمهم يَخافونَ عَلَى أنفسهم النفاق.

وقد بَيَّن النبي ﷺ ملامح النفاق العملي والاعتقادي.

أمَّا نفاق الاعتقاد: فلا يُعلم إلا عن طريق الوحي لتعلقه بالقلب، ولكن تظهر آثاره وأماراته على الجوارح.

وإن من أعظم ما يهدد المسلمين: فهو ذلك النفاق العملي، الَّذِي في محصلته يصُبُّ من بوتقة النفاق الاعتقادي الَّذِي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار -والعياذُ بالله-.

وقد ذكرنا صفات المنافقين في الكتاب والسنة؛ فيجب عَلَى من أراد أن يتطهر من النفاق معرفة صفاتهم واجتنابها، والبعد عنها، فمن لم يعرف الشر كَاد أن يقع فيه.

ولله در القائل:

عرفـــتُ الشرَّ لا للشرِّ لَكنْ لتَوقِّيه ... ومَنْ لا يعرف الْخيرَ من الشَّرِّ يقعْ فيه

كما يَجب عَلَى المؤمن أن يَجتهد في اتباع الكتاب والسنة، وأن يتحرى اتباع الرسول ﷺ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأن يُحب المؤمنين من السابقين الأولين، ومن سار عَلَى نَهجهم إلى يوم الدين، فيوالي أولياء الله، ويُعادي أعداءه، ويبتعد عن اتباع الهوى والتعصب لغير الحق، وأن يُكثر من الاستغفار

كلما أحدث ذنبًا، وأن يَجتنب البدع ما ظهر منها وما بطن، وأن يُكثر من الطاعات ومرافقة الصالِحين وأن يطلب العلم النافع إذ به يعرف أهل الإيمان من أهل النفاق، وأن يلهج لسانه بذكر الله والدعاء بالثبات عَلَى الإيمان والبعد عن النفاق والمنافقين.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

خاتمة نسأل الله حسن الختام

لَمَّا كَانَ النفاق قد عمَّ وطم، وشمل السهل والوادي، وقلما يَخلو منه مُجتمع أو ناد، وجب بيان خطره وتَحذير الأمة منه؛ لأن أشد أعداء الأمة الإسلامية وأخطرهم عليها هُمْ المنافقون الذين يتلونون حسب البيئة، يظهرون بِمظهر الأخ المشفق، وهم ذئاب في جلد بني الإنسان يَحسبهم الظمآن ماء، يظنهم المؤمن عونًا له، وهم عونًا عليه، يَحسبهم له ناصحون، وهم عَلَى عَنَتِهِ وهلاكه وتدميره ساعون:

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ولا أدَّعي الكمال وبلوغ الغاية، فإن أصبت فمن الله، والحمد لله عَلَى توفيقه، وإن أخطأتِ فمن نفسي ومن الشيطان، وما أبرئ نفسي، وقد أردتُ به وجه الله والدار الآخرة، عسى أن يشفع لي حسن قصدي ما قد قصر عنه علمي، وشرد عنه ذهني، والبشر من طبعهم التقصير، فالكمالُ لله وحده، والعصمة لرسوله ﷺ، ويأبى الله إلا أن يُتم كتابه والحمدُ لله رب العالمين.

وكتب

د. أبو أنس

محمد بن موسى بن نصر

الفهرس

فهرس الموضوعات

صدر للمؤلف

١- فضائل القرآن في السنة المطهرة.
٢- كشف الخفاء عن أحكام سفر النساء.
٣- هداية الحيران إلى حكم ليلة النصف من شعبان.
٤- فتح الغفور في شرح حديث تعجيل الفطور وتأخير السحور.
٥- تمام الكلام في بدعية المصافحة بعد السلام من الصلاة.
٦- العقل ومنزلته في الإسلام.
٧- صفة الساق بين إثبات السلف وتحريف الخلف.
٨- البحث والاستقراء في بدع القراء.
٩- مع النبي ﷺ في رمضان.
١٠- هداية السالك إلى أوجز المسالك.
١١- المنافقون في الكتاب والسنة.
١٢- علام يقتل أحدكم أخاه - ذم الحسد والحاسدين.
١٣- أثر القرآن في صلاح المجتمع - تحقيق وتعليق.
١٤- اللمعة في حكم الاجتماع للدرس قبل الجمعة.
١٥- اختيارات الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ومنهجه في القراءة.
١٦- الفوائد المرقومة في الرد على الحكاية المزعومة.
١٧- شرح رسالة شعبة للهجرسي القعقاعي.
١٨- فريضة الزكاة في القرآن والسنة.
١٩- القول المفيد في وجوب التجويد.
٢٠- الروض الباسم في رواية شعبة عن عاصم.
٢١- التبديد لظلمات من خالف التوحيد.
٢٢- الرحيق المختوم في نصرة النبي المعصوم.
٢٣- مع النبي ﷺ في بيته.
٢٤- معالم المنهج النبوي في الدعوة إلى الله.

تحت الطبع

١- الردود والتعقبات على الإمام ابن جرير في طعنه في متواتر القراءات.

٢- البراهين الواضحة في فضائل وأحكام سورة الفاتحة.

٣- الإمام مكي القيسي ومنهجه في القراءة.

٤- الدر النثير فِي اختصار تفسير ابن كثير.

بدائع الحكم

بذكر فوائد حديث: «تداعي الأمم»

تأليف

أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي

كان الله له وعفا عنه بمنه وكرمه

ومعه

معالم المنهج السلفي في التغيير

لشيخ الإسلام الإمام الرباني

محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي بن آدم الألباني

رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى بمنه وكرمه

(١٣٣٢ هـ - ١٤٢٠هـ)

دار الإمام أحمد

الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

القول المفيد
في
وجوب التجويد

لفضيلة الشيخ الدكتور
أبي أنس محمد موسى نصر

دار الإمام أحمد
الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة